مَلَامِحُ اَلْفِكْرِ اَلتَّوْلِيْدِي التَّحْوِيلِي فِي دَلَائِلِ اَلإِعْجَازِ لِعَبْدِ اَلْقَاهِرِ اَلْجُرْجَانِي

الدكتورة

دلال عبد الله أعظم أعظم

أستاذ النحو والصرف المساعد في قسم اللغة العربية

بكلية التربية للبنات

جامعة الملك خالد، السعودية.

اَلْمُقَدِّمَةُ:

اَلْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى المَبْعُوثِ رَحْمَةً للعَالَمِين، سَيدِنَا وحَبِيبِنَا وشَفِيْعِنَا في يَوم الدِّين، خَاتَمِ الأَنْبياءِ وإمَامِ اَلْمرسَلِين، مَحَمَّدِ بن عبد الله، النبيِّ الأمين، وعلى آله وأصحابه الغُرِّ المَيَامِين، ومَنْ اِهْتَدَى بهديه إلى يوم الدين .... أمَّا بعدُ:

فقد حاز المنهج التوليدي التحويلي على انتشارٍ واسعٍ بين المدارس اللغوية، وتصدَّر مكانة عالية بين المدارس الحديثة؛ كونه يهتمُّ بالجانب التحليلي والتفسيرى بدلًا من الجانب الوصفي، في مُحاولةٍ جِديَّةٍ لتقديم صورة واضحة شمولية عن بنية اللغة وميزاتها الإنسانية، وعلاقتها بالعقل والفكر الإنساني.

فمنذ أنْ ظهرت النظرية التوليدية التحويلية على يد نعوم تشومسكي في عام ١٩٥٧م عندما أصدر كتابه الأول (**التراكيب النحوية**)، وفي عام ١٩٥٦م عندما أصدر كتابه التاريخي (**أوجه النظرية التحويلية**) إلى يومنا هذا؛ وعلماء اللغة في الغرب والشرق يدرسونها ويمحِّصونها، إمَّا مدافعين أو ناقدين، وكثيرهم في معظم الأحيان غافلين أو مُتغافلين عمَّا صنعه وسطَّره أجدادنا النحاة العرب. ورأينا الكثير من أساتذتنا علماء العربية بنظرية تشومسكي مشغوفين، وعمَّا سطَّره أجدادنا الأفذاذ مُعرضين غير مبالين، وأخذوا يترجمون ويَدرسون ويُدافعون، ويُسطِّرُون الكثير من الدراسات حول تشومسكي ونظريته، وليتهم فعلوا نصف ذلك مع أجدادهم أو أقل؛ ولو فعلوا لتأكَّدوا من أنَّهم أحفاد أجداد عظماء، وأيقنوا أنَّ أكثر ما قاله تشومسكي بضاعتهم قد ردَّت إليهم، وميراث أجدادهم يُتفضَّل به عليهم، ولكن كُلَّ ما قلته وقاله غيري حول هذه الظاهرة لا يمنع وجود الكثير من رجالات العربية وفرسانها الذين يدرسون ويمحِّصون تراث أجدادهم ويدافعون عن إنجازاتهم، ولم يمنعهم ذلك من استكمال ما فاتهم بما فاقهم في مُنجزات غيرهم، فالأيام دولٌ، ولم يكن العلمُ يومًا ما حكرًا على أحدٍ.

ودراسة الفكر التوليدي التحويلي ارتبطت بزخمٍ كبيرٍ؛ فدراستها والبحث فيها بحاجة إلى إعمال العقل والتفكير، ومَنْ يطَّلع على الدراسات اللغوية الحديثة يجد أنَّ كثيرًا من علماء الغرب والشرق يوقفون معرفتها ودراستها **على تشومسكي وأعوانه**، غير آبهين بما ذكره عالم عربي أو قاله في غابر زمانه؛ **كسيبويه والزمخشري وابن جني وعبد القاهر الجرجاني** وغيرهم الكثير، وأرجو أن لا يُفهم أنَّني أقلل من قدر **تشومسكي**؛ انحيازًا للنحاة العرب وجهوده كبعض الشعوبيين، فهو عالمٌ فاضل جليلٌ وأمثاله في علماء الغرب قليلٌ. ولكن بعد ظهور أفكاره؛ تجد كثيرًا من العلماء العرب يمتدحون ويهللون له؛ دون أخذ في

الاعتبار ما أنجزه النحاة العرب في هذا المضمار. وكما قال مصطفى صادق الرافعي[1]:

أنترك الغرب يلهينا بزخرفة ومشرق الشمس يبكينا وينتحب؟
وعندنا نهرٌ عذبٌ لشاربه فكيف نتركه في البحر ينسرب ؟

ويقول الدكتور عبد العزيز حمودة :"إنَّ العقل العربي مارس كُلَّ ألوان الاجتهاد وأنواعه، وبعض هذه الاجتهادات كانت حَرِيَّةً بالتطوير والإثراء؛ وليس التجاهل الاحتقار"[2].

وأهدف في هذه الدراسة إلى **إبراز تصور شمولي عن بعض ملامح المنهج التوليدي التحويلي عند عبد القاهر الجرجاني شيخ البلاغيين العرب؛** للوقوف على دور أحد أبرز اللغويين العرب في هذا المضمار المهم ، وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تربط بين الأصالة والمعاصرة ، أو لأنها تحاول قراءة التراث اللغوي العربي لدي أحد شيوخه المبرَّزين باستخدام منجزات علم اللغة الحديث والمدرسة التوليدية التحويلة الحديثة.

واستخدمت الدراسة مناهج علمية كثيرة ؛ **كالمنهج الاستقرائي والمقارن والتحليلي والنقدي** ، كلاً حسب المسألة محل الدراسة ، وركَّزت الدراسة بطبيعة الحال على آراء عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز مع الحرص على موازنتها مع آراء المدرسة التوليدية التحويلية؛ لإظهار أوجه التشابه أو التباين بينهما؛ ليتسنَّى لنا استجلاء دور عبد القاهر الجرجاني في هذا المضمار اللغوي المهم.

جاءت هذه الدراسة في ثلاثة مباحث وخاتمة لخصتُ فيها أهم النتائج، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: تحدَّثت فيها بصورة موجزة عن أسباب الدراسة وأهميتها ومنهجها وخطتها.

المبحث الأول: المدرسة التوليدية التحويلية: التعاريف والمفاهيم.

المبحث الثاني: البنية العميقة والبنية السطحية عند عبد القاهر. **وجاء في مطلبين:**

---

[1] ينظر: الرافعي، مصطفى صادق،(٢٠٠٤م)"ديوان مصطفى صادق الرافعي"، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (ص٢٣٠).
[2] ينظر: حمودة، عبد العزيز،(٢٠٠١م)،"المرايا المقعرة"، عالم المعرفة، الكويت، (ص٢٤٧).

المطلب الأول: من وسائل التحويل من العميقة إلى السطحية عند عبد القاهر الجرجاني.

المطلب الثاني: أثر المعنى في البنية العميقة والبنية السطحية عند عبد القاهر الجرجاني.

المبحث الثالث: في أوجه التشابه والتباين بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي.

الخاتمة: ولخصت فيها أهم نتائج الدراسة.

وبعد، فالله أسأل أن تكون هذه الدراسة قد حققت أهدافها، وأن ينفع بها من يشاء، وأن تكون لبنة بناء في صرح مكتبة الدراسات اللغوية العربية، وما بها من توفيق فمن عند الله تعالى، وإن ظهر فيها قصور وهنات فمن عند نفسي والشيطان، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

*****

اَلْمَبْحَثُ اَلأوَّلُ: اَلْمَدْرَسَةُ التَّولِيْدِيَّةُ التَّحْويليَّةُ: التَّعَاريْفُ وَاَلْمَفَاهِيْمُ:

يفترضُ **النحو التوليدي التحويلي** ثنائية البنية اللغوية (di-strata)؛ بمعني أنَّ هناك بنية ذهنية عميقة (deep structure) تشمل العناصر الكاملة للمقولة اللغوية تتحوَّلُ إلى بنيةٍ سطحيَّةٍ منطوقةٍ (surface structure)؛ لذا فالنموذج يتكون من مكونين أساسين هما: **المكون التركيبي** الذي تنتظم داخله عناصر البنية العميقة، و**المكون التحويلي** الذي يحدد البدائل الممكنة لبنيتها السطحية..الخ".[1] واللفظان (**التوليدية والتحويلية**) مرتبطان ارتباطًا وثيقًا؛ بحيث لا ينفصلان إلّا إذا اقتضت الحاجة إلى ذلك، ولذا فإنَّنا سنقدم تعريفًا موجزًا للفظين.

فالقواعد التوليدية: هي القواعد التي تولد الجمل المقبولة في اللغة، في حين أنَّها لا تولد جملًا غير مقبولة في اللغة؛ لأنَّ اللغة على حدِّ تعبير تشومسكي تتكون من "(مجموعة ـ متناهية أو غير متناهية ـ من الجمل)، كُلُّ جملة طولها محدود ومكونة من مجموعة متناهية من العناصر، وكُلُّ اللغات الطبيعية في شكلها المنطوق أو المكتوب تتوافق مع هذا التعريف؛ وذلك لأنَّ كُلَّ لغةٍ طبيعيةٍ تتكوَّن من مجموعة محدودة من الأصوات (أو مجموعة محدودة من الرموز الكتابية)، مع ذلك فإنَّها تنتج أو تُولِّدُ جملًا لا نهاية لها"[2].

فالتوليدية إذن نسبة إلى توليد الجمل أو إنتاجها بكم كبير وبشكل غير متناهٍ، مع التنويه إلى أنها مرتبطة في أساسها بالجانب العقلي لإنتاج الجمل أو ما يسمى بالبنية العميقة للغة .

أمَّا القواعد التحويلية: فهي القواعد التي تحول البنية العميقة للغة إلى البنية السطحية بوساطة عناصر التحويل المختلفة: كالحذف، والزيادة، وتغيير الترتيب؛ بمعنى أنها تنتقل من المرحلة العقلية إلى المرحلة الملموسة كتابيًا أو نطقًيا.

وعليه فإنَّ مفهوم النظرية التوليدية التحويلية هو:"تحويل جملة إلي أخرى أو تركيب إلى آخر، والجملة المحولة عنها هي ما يعرف بالجملة الأصل ـ البنية العميقة ـ والقواعد التي تتحكم في تحويل الأصل هي "القواعد التحويلية"، وهي قواعد تحذف بعض عناصر البنية العميقة أو تنقلها من موقع

---

[1] ينظر: علي،نبيل، (٢٠٠٥م)،"الفجوة الرقمية"، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٣١٨)، الكويت،(ص٣٢٦-٣٢٥).

[2] زكريا، ميشال، (١٩٨٦م)، "الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، (ص٩١).

إلى موقع آخر، أو تحولها إلي عناصر مختلفة، أو تضيف إليها عناصر جديدة وإحدى وظائفها الأساسية تحويل البنية العميقة الافتراضية التي تحتوي علي معنى الجملة الأساسي إلي البنية السطحية الملموسة التي تجسد بناء الجملة وصيغتها النهائية".[١]

ويقوم المنهج التحويلي على عدة اعتبارات، وهي:

١ . الجملة هي الحدُّ الأدنى التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه، وتسمى الجملة النواة أو الأصل أو الخام.

٢ . يطرأ على الجملة التوليدية عنصر من عناصر التحويل فتصبح تحويلية.

عناصر التحويل: [٢]

أ) الحركة الإعرابية: كأن تقول: ضرب عليٌّ محمّدًا = ضرب عليًّا محمّدٌ .

ب) قواعد الحذف: وتكون بالاستغناء عن كلمة أو أكثر من الجملة شرط أن تؤدي معنى مفيدًا لا يختلف كثيرًا في ظاهره عن المعنى الأصلي قبل الحذف، كأنْ تقول في الرجل الغني يساعد الرجل الفقير (الغني يساعد الفقير).

جـ) قواعد التعويض:كأنْ تحل كلمة محل أخرى سواء كانت اسمًا ظاهرًا محل اسم ظاهر، أو ضميرًا محل ضمير أو اسم.الخ،كأن تقول: إذا درس محمد جيدًا فإن محمدًا سوف ينجح، فتصبح:إذا درس محمد جيدًا فإنه سوف ينجح.

د) قواعد الزيادة:تظهر بإضافة كلمة أو كلمات جديدة إلى الجملة مثل : أكلت التفاحة = أكل علي التفاحة.

هـ) قواعد إعادة الترتيب: وذلك بأن تتبادل الكلمات مواقعها في الجمل مثل : تفقد رئيس الجامعة كلية الآداب = رئيس الجامعة تفقد كلية الآداب .وعناصر التحويل هذه تنقل الجملة من توليدية فيها معنى سطحي إلى تحويلية فيها معنى عميق . **وبعبارة أخري فإنَّ أهم وسائل التحويل من البنية العميقة إلى السطحية هي:**

(١) **الحذف** : (أ + ب) ـــ (ب) .

(٢) **التعويض** : (أ) ـــ (ب) .

---

[١] ينظر: عبداللطيف، محمد حماسة،(١٩٩٠م)، "من الأنماط التحويلية في النحو العربي" ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، (ص١٣)، والخولي، محمد علي، (١٩٩٩م)،"قواعد تحويلية باللغة العربية"، مكتبة الفلاح، الكويت،ط١(ص ٢٢) .

[٢] ينظر : زكريا، ميشال،"الألسنية التوليدية التحويلية"(ص٩) .

(٣) **التمدد والتوسع** : (أ) ـ (ب + ج) .

(٤) **التقلص أو الاختصار**: (أ + ب) - (ج).

(٥) **الإضافة أو الزيادة** : (أ) ـــ (أ + ب) .

(٦) **إعادة الترتيب** (التبادل أو التقديم والتأخير) : (أ + ب) ـ (ب + أ) [١].

وعمليات التحويل نوعان:

- **النوع الأول: التحويل الإجباري**: ويكون فيما يسمى في النحو العربي (الواجب). وهذا النوع يجب نطبيقه لتصبح الجملة صحيحة نحويًا[٢]؛ كتقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ النكرة.

- **النوع الثاني: التحويل الاختياري**: ويكون فيما يسمى في النحو العربي (الجائز)[٣].كجواز تقديم المفعول به على الفعل والفاعل..الخ.

- **<u>الأسس التي يقوم عليها النحو التوليدى التحويلي:</u>** تقوم المدرسة التوليدية التحويلية على أربعة أسس، هي:**(البنية السطحية، والبنية العميقة، والكفاءة، والأداء)**، وفيما يأتي كلمة موجزة عن هذه الأسس:

<u>أولاً: البِنْيَة:</u> يذكر علماء اللغة العربية من أصحاب المعاجم أن بنية الشيء:"الهيئة التي بني عليها"[٤]. "والبنية ما بنيته؛ وهو البنى والبنى، وأنشد الفارسي عن أبي الحسن: أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى"[٥]. و«البنية» شبكة العلاقات القائمة في الواقع التي قد يعقلها الإنسان ويجردها بعد ملاحظته للواقع في كل علاقاته المتشابكة، ويرى أنها تربط بين عناصر الكل الواقعي أو تجْمع أجزاءه، وأنها القانون الذي يضبط هذه العلاقات، ولكنه قد لا يدركها على الإطلاق. ومن ثم فالبنية، كما تتبدَّى في عقل الإنسان، ليست ذاتية ولا موضوعية تماماً. وهذا لا يعني أن البنية مجرد "إدراك" لشبكة العلاقات ونموذج عقلي يجرده الإنسان، وإنما هي كل من "الإدراك" (الذاتي) و"الشبكة"(الموضوعية) ؛ أي أنَّ البنية ، إلى جانب وجودها الذاتي في العقل،

---

[١] ينظر :ليونز،جون،(١٩٨٥م)،"نظرية تشومسكي اللغوية"، ترجمة: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، بيروت،ط١، (ص٣٢) .

[٢] ينظر : الخولي، محمد علي،"قواعد تحويلية للغة العربية"،(ص٣٨، ٣٩).

[٣] ينظر: المرجع نفسه، (ص٤٠).

[٤] ينظر:ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين،(٢٠٠٣م)، "لسان العرب"، دار صادر، بيروت،(٩٤/١٤)، والفيومي،أبو العباس أحمد بن محمد،"المصباح المنير"، المكتبة العلمية، بيروت، (٦٣/١) ، مادة (بني) .

[٥] ينظر: ابن منظور،"لسان العرب"(٩٤/١٤) .

لها وجود موضوعي في الواقع، قد يدرك الإنسان معظم أو بعض جوانبه، وقد لا يدرك أياً منها. والبنية في الدرس اللغوي لها نوعان: البنية السطحية، والبنية العميقة؛ **البنية السطحية (**surface structure**) :**البنية السطحية هي كل هيكل الشيء ووحدته المادية الظاهرة**.**

أمَّا البنية العميقة (deep structure**):** فهي كامنة في صميم الشيء، وهي التي تمنح الظاهرة هويتها وتضفي عليها خصوصيتها. وعادة ما يعي المرء إدراك البنية السطحية المادية المباشرة ، فإدراكها أمر متيسر، أما إدراك البنية الكامنة فهو أمر أكثر صعوبة ، يتطلب استخدام الحواس وإعمال العقل والخيال والحدس. لذا عادة ما يعيش البشر داخل بُنى اجتماعية وتاريخية واقتصادية يستنبطونها فتؤثر في سلوكهم وتشكيل رؤيتهم للكون وتحدد خطابهم الحضاري دون وعي منهم.

والبنية السطحية:هى ما ينطقه الإنسان فعلاً[١]، ويمثلها الأداء الفعلي للكلام[٢]، أوهي ما يكون ملموسًا على السطح من جمل منطوقة أو مكتوبة، بحيث تحول العمليات العقلية في البنية العميقة إلى بنية سطحية ملموسة.**والبنية العميقة:** ويمكن أن تفهم من سابقتها وزيادة في التعريف: هي العمليات العقلية للتفكير في الجمل قبل تحويلها لبنى سطحية، بالإضافة إلى المعنى الذي يفهمه القارئ والسامع عندما يسمع قراءة البنية السطحية ومثال ذلك قولك: ضربت زيدًا جالسًا، فيمكن أن نفهم من الجملة السابقة معنيين هما: الحال من الفاعل، والحال من المفعول. **والبنية العميقة عند تشومسكي**: هي المعنى الكامن في نفس المتكلم بلغته الأم، ومقياسه المقدرة أو الكفاية اللغوية.

ويمكننا التعبير عن البنية السطحية والعميقة بقولنا: (الظاهر والباطن) ـ كما يرى كثير من النحاة ـ "وهذا الظاهر مماس لذلك الباطن كل جزء منه منطو عليه ومحيط به"[٣]؛ "لأن حسن الظاهر يدل على حسن الباطن"[٤].ويمكن تشبيه العلاقة بين التركيب الباطني (البنية العميقة) والتركيب الظاهري (البنية السطحية) بالعلاقة "بين مدخول التفاعل الكيماوي ومنتوجه، فالتركيب الباطني في اللغة يشبه مدخول التفاعل الكيماوي؛ أي: أنه يشبه المواد الداخلة في التفاعل

---

[١] ينظر: المسدي، عبد السلام،(١٩٨٦م)،"اللسانيات من خلال النصوص"،الدار التونسية للنشر، تونس،(ص١٠٥).

[٢] ينظر: زكريا، ميشال،"الألسنية التوليدية والتحويلية"(ص٢٦، ٢٧).

[٣] ابن جني، أبو الفتح، "الخصائص"،تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت (٤٧٦/٢) .

[٤] ينظر : الفيومي، "المصباح المنير" (٦٤٩/٢) .

الكيماوي، والتركيب الظاهري في اللغة يشبه منتوج التفاعل الكيماوي؛ أي: أنه يشبه المواد الناتجة من التفاعل الكيماوي"[١]. وهذا الترابط غير المنكر بين البنية السطحية والبنية العميقة لا يمنع وجود فروق أو سمات تنماز بها البنية السطحية عن العميقة أو العكس، فإنْ كانتا متطابقتين فلا داعي للفصل بينهما باسمين أو مصطلحين متغايرين ..وقد اهتمَّ تشومسكي بالبنية العميقة على حساب البنية السطحية؛ ذلك لأن مبدأ النظرية التشومسكية كما ذكرنا سابقًا يقوم على الجانب العقلي للغة.

- **<u>وسائل التحويل من العميقة إلى السطحية:</u>**

تحدَّث ابن جني عن **بعض وسائل التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية**؛ فيقول:" قيل: يمنع من ذلك أن العرب إذا غيرت كلمة عن صورة إلى أخرى اختارت أن تكون الثانية مشابهة لأصول كلامهم ومعتاد أمثلتهم؛ وذلك أنك تحتاج إلى أن تنيب شيئا عن شئ، فأولى أحوال الثاني بالصواب أن يشابه الأول".[٢] ،"وذلك أن العرب إذا حذفت من الكلمة حرفًا، إمَّا ضرورة أو إيثارًا، فإنها تصور تلك الكلمة بعد الحذف منها تصويرا تقبله أمثلة كلامها، ولا تعافه وتمجه لخروجه عنها، سواء كان ذلك الحرف المحذوف أصلاً أم زائدًا، فإن كان ما يبقى بعد ذلك الحرف مثالاً تقبله مثلهم أقروه عليه، وإن نافرها وخالف ما عليها أوضاع كلمتها نقض عن تلك الصورة وأصير إلى احتذاء رسومها".[٣]

وتحدث عبد القاهر الجرجاني عن **البنية العميقة**؛ ومن ذلك قوله:"إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرًا في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب بحكم أنها خدم للمعنى تابعة لها ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق،..، واللفظ تبع للمعنى في النظم، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس"[٤]. وتحدث الجرجاني أيضًا عن **أسبقية البنية العميقة للبنية السطحية**:"وإذا كان لا يكون في الكَلِم نظم ولا ترتيب إلا بأن يُصنع بها هذا

---

[١] ينظر:الخولي، محمد علي، (١٩٨٢م)،"دراسات لغوية"، دار العلوم، الرياض،(ص٥٢)، وجاد الكريم، عبد الله، (٢٠٠٤م)، "الدرس النحوي في القرن العشرين"، مكتبة الآداب، القاهرة ، (ص٢٤١).

[٢] ابن جني، الخصائص (٦٦/٢) .

[٣] ابن جني، الخصائص (١١٢/٣) .

[٤] ينظر:الجرجاني، عبد القاهر،(١٩٩٥م)،"دلائل الإعجاز"، تحقيق: محمد التنجي، دار الكتاب العربي،بيروت، (ص٦٠).

الصنيعُ ونحوه، وكان ذلك كله مما لا يرجع منه إلى اللفظ شيء، ومما لا يتصوّر أن يكون فيه ومن صفته.. بانَ لك أن الأمر على ما قلناه من أن اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأن الكلِم يترتب في النطق حسب ترتيب معانيه في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتاً وأصداءَ حروفٍ.. لما وقع في ضمير ولا هَجَسَ في خاطر أنه يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يُجعلَ لها أمكنة ومنازل، وأنه يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك".[1]

ثانيًا: الكفاءة (الكفاية اللغوية): وهي قدرة المتكلم بلسان لغته الأم على استعمال نظام اللغة التي تمكنه من تفسير إنتاج الجمل، وعلى قبوله جملًا معينة بأنها نحوية ورفضه لجمل أخرى لأنها غير نحوية.

ويرى تشومسكي أن اللغة الإنسانية خاصية إنسانية ذاتية تميزه عن الحيوان، ويستطيع كل إنسان إنتاج عدد غير

مُتناهٍ من جمل لغة بيئته؛ حتى وإن لم يسبق له سماعها من قبل، وهذه المقدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في إطار النظرية التوليدية التحويلية تعرف بـــ(الكفاية اللغوية) [2] .

ثالثًا:الأداء الكلامي: وهو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين، وفي الأداء الكلامي يعود متكلم اللغة بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية[3]، أوهو اصطلاح "يشير إلى أمثلة راجعة لاستعمال المتكلم للغة، وليس من الضروري أن يكون الأداء متمشيًا مع الكفاءة؛ لأننا كثيرًا ما ننتج جملًا قد نعدها غير مقبولة إذا نظرنا إليها في ضوء كفاءتنا ـ فقد نبدأ بداية خاطئة، فنبدأ الجملة بطريقة ونختمها بطريقة أخرى ـ كل هذا جزء من الأداء، ولكن الكفاءة هي النظام النموذجي الذي تعتمد عليه مهارتنا اللغوية .

والنَّاظر في هذه الأسس الأربعة السابقة **(البنية السطحية، والبنية العميقة، والكفاءة، والأداء)** يدرك أنَّ تشومسكي كسابقيه قد أقام نظريته على الازدواجيات كما في: اللغة والكلام، والبنية العميقة والبنية السطحية، الكفاءة والأداء، الجانب العقلي والجانب الآلي ... إلخ .

وبعدُ، فقد اهتمَّ العرب بكافَّة طوائفهم بما يُسَمَّى الظاهر والباطن للكلام؛ وبخاصة في القرآن الكريم، فنتج عن ذلك فريق يرفض الباطن تمامًا ولا

---

[1] ينظر: الجرجاني، عبد القاهر،"دلائل الإعجاز"،(ص٦٠) .
[2] ينظر: الراجحي، عبده،(١٩٨٦م)، النحو العربي والدرس الحديث، دار المعرفة الجامعية، بيروت، (ص١١٢).
[3] ينظر: المرجع السابق نفسه، (ص١١٢).

يعترف إلا بالظاهر (الظاهرية)، وفريق أوغل في تأويل الباطن والاعتماد عليه (الباطنية)، وفريق ثالث كان موقفه وسطًا يتعامل مع الظاهر وإن احتاج إلى تأويله والاستعانة بالباطن لم يتوانَ في ذلك؛ (ولا داعي للإطالة هنا). ولقد اهتمَّ النحاة العرب في مختلف مدارسهم ومذاهبهم النحوية بالبنية العميقة، ومن الواضح أن دراستهم للبنية السطحية وانشغالهم بإعرابها لم يغض طرفهم وعقلهم عن البنية العميقة لما يدرسونه أو يعربونه، ومظاهر اهتمام النحاة العرب بالبنية العميقة كثير ة كثرة مفرطة في كتبهم وأبحاثهم اللغوية، ومن ذلك قولهم في كثير من كتبهم:(**والتقدير، وتقدير الكلام، وأصل الكلام، والمعنى، ..الخ**)؛ وذلك إيذانًا بالبنية العميقة وذلك أثناء دراستهم للبنية السطحية، وذلك لمعرفتهم أن الاكتفاء بوصف البنية السطحية لا يعني إنكار البنية العميقة ، بوصفها خاصة لغوية إنسانية. هذه الخاصة الإنسانية منحة من الله جل وعلا، وهي صالحة للعمل بالتفعيل والتوليد منها حسب البيئة اللغوية المعينة. والبيئات اللغوية كثيرة لا حصر لها، ومن ثمَّ لا نعجب ولا ندهش إذا جاء هذا التوليد مختلفًا من بيئة إلى أخرى، بل من فرد إلى فرد آخر. وعودة إلى خصائص اللغة العربية "فإن كثيراً من الكلمات تحمل مستويين أحدهما غير منطوق به والآخر منطوق به، ولكن غير المنطوق به يتحكم في المنطوق ويوجه تفسيره ؛ لأنه مراد حكماً وتقديراً[1].

*****

[1] ينظر: الجندي ، طه،(١٩٨٠م)،"ظاهرة المطابقة النحوية في ضوء الاستعمال القرآني"، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، القاهرة، (ص ٧٦).

اَلْمَبْحَثُ اَلثَّانِي: اَلْبِنْيَةُ اَلْعَمِيْقَةُ وَالْبِنْيَةُ السَّطْحِيَّةُ عِنْدَ عَبْد القَاهِرِ الجُرجَانِي

• توطئة:

تتَّصل فنون التصوير في البلاغة العربية بالبنية السطحية والبنية العميقة، وكان مفهومهما واضحين لدى عبد القاهر، على الرَّغم من أنَّ المصطلحين لم يكونا معروفين في عصره، وعرضت سلفًا لمفهوم البنية السطحية والبنية العميقة لدى تشومسكي، وأود موازنة ذلك بما ورد عند عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز.

إنَّ القواعد التحويلية هي"التي تضفي على كل جملة تولدها تركيبين: أحدهما باطني (أساسي) والآخر ظاهر (سطحي) وتربط بين التركيبين بنظام خاصًا"[١]، والتركيب الباطني أو الأساسي أو البنية العميقة عند تشومسكي "هو المعنى الكامن في نفس المتكلم بلغته الأم، ومقياسه القدرة، أو الكفاية التي تتكون في الفرد وتجعله يعبر عما في باطنه بجمل عديدة لم يسمعها من قبل، وهذه القدرة تولد مع الطفل وتمكنه من تعلم أية لغة في العالم"[٢].

ثم أنَّ هذه المقدرة هي التي يتم بها أداء جمل كثيرة عن المعنى الباطني "وهذه الجمل ما هي الا مظهر سطحي أو تركيب سطحي لذلك المعنى الباطني، والكفاية أو المقدرة اذن هي التي يقاس بها التركيب الباطني، أمَّا البنية السطحية فيماثلها الأداء الفعلي للكلام"[٣].والملاحظ أنَّ البنية العميقة مرتبطة بالمعنى، وهذا ما أشار إليه الدكتور خليل العمايرة عند مقارنة النتاج الفكري لكلٍّ من عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي، إذ أشار إلى أنَّ البنية العميقة والبنية السطحية عند تشومسكي قائلًا:"يرى أنَّ الجملة بُؤرة التحليل اللغوي؛ من حيث علاقتها بالمعنى، وحقيقتها وجهان: سطحي خارجي ظاهر، وتحتي باطني عميق"[٤].

والذي نراه أنّ مفهوم البنية العميقة وتعلُّقها بالمعنى أو عناصر التحويل التي تنقل المعنى السطحي إلى معنى عميق، حيث نجد مفهوم البنية السطحية والبنية العميقة عند عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز في المجاز والكناية أو ما يطلق عليه عبد القاهر (اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره) حيث يقول:"اعلم أنَّ لهذا الضرب اتساعًا إلا أنَّه على اتّساعه يدور في الأمر الأعمِّ

---

[١] ياقوت، أحمد سليمان، (١٩٨٥م)،"في علم اللغة التقابلي"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (ص٣٧).
[٢] المصدر السابق نفسه، (ص٣٧).
[٣] المصدر السابق نفسه ، (ص ٣٧) .
[٤] عمايرة، خليل أحمد،(١٩٨٣م)،"البنية التحتية بين عبد القاهر الجر جاني وتشو مسكي، الأقلام، بغداد،مجلد١٨، عدد٩، (ص٩٠).

على شيئين: الكناية والمجاز، والمراد بالكناية ههنا أنْ يريد المتكلم إثباتَ معنى من المعاني، فلا يذكره باللَّفظِ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيءُ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيُومئُ به إليه، ويجعله دليلاً عليه، (هو طويل النجاد) يريدون طويل القامة، و(كثير رماد القدر) يعنون كثير القرى، وفي المرأة (نؤوم الضحى) والمراد أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها، فقد أرادوا في هذا كُلّه كما ترى معنى، ثُمَّ لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنَّهم توصَّلوا إليه بذكر معنى آخر؛ من شأنه أن يردفه في الوجود.. أفلا ترى أنَّ القامة إذا طالت طال النجاد؟ وإذا كثر القرى كثر رماد القدر؟ وإذا كانت المرأة مترفة لها مَنْ يكفيها أمرها ردف ذلك أن تنام إلى الضحى؟

وأمَّا المجاز فقد عوَّل الناس على حدّه في حديث النقل والكلام في ذلك يطول، وقد ذكرت ما هو الصحيح من ذلك في موضع آخر، وأنا أقتصر ههنا على ذكرما هو أشهر منه وأظهر، والأسم والشهرة فيه لشيئين:الاستعارة والتمثيل، وانما يكون التمثيل مجازا إذا جاء على حد الاستعارة. فالاستعارة: أن تريد تشبيه الشيء لشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه، تريد أن تقول:رأيت رجلا هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه فتدع ذلك وتقول: رأيت أسدًا"[1]. ويكمل قائلاً:" وضرب آخر من الاستعارة، وهو كان نحو قوله[2]:

وغداة ريح قد كشفتُ وقِرَّة ... إذْ أصبحتْ بيدِ الشَّمالِ زمامُها

فقد ادَّعيت أنَّ للشمال يداً ومعلوم أن ليس للريح يد[3]. وأمَّا التمثيل الذي يكون مجازاً لمجيئك به على حد الاستعارة، فمثاله قولك للرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه، أراك تُقدِّم رجلاً وتُؤخِّر أخرى، فالأصل في هذا أراك في تردُّدٍ ؛كمَنْ يُقدِّم رجلا ويؤخر أُخرى، ثم اختصر الكلام وجعل كأنه يقدم الرجل ويؤخرها على الحقيقة، كما كان الأصل في قولك (رأيت أسدًا)، (رأيت رجلاً كالأسد) ثم جعل كأنه الاسد على الحقيقة".[4]

ومن خلال الأمثلة السابقة نجد مفهوم البنية السطحية والبنية العميقة واضحًا فيها أو المعنى السطحي والمعنى العميق من خلال الاستعارة والمجاز،

---

[1] الجرجاني، عبد القاهر، "دلائل الإعجاز"،، (ص٦٦).

[2] البيت من الكامل،ومنسوب للبيد بن ربيعة.ينظر: القزويني، جلال الدين (١٩٧٤م)،"الإيضاح في علوم البلاغة"، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت،ط٣، (٢٩٠/١)، والجرجاني، عبد القاهر، "دلائل الإعجاز"،، (ص٦٦).

[3] المصدر نفسه، (ص٦٧).

[4] المصد ر نفسه، (ص ٦٧).

حيث إنَّ المفردة فيها معنى سطحي أو معجمي، وفيها معنى آخر هو المعنى العميق، وهو المقصود من الكلام، فمن الأمثلة على الكناية قوله (طويل النجاد) و(كثير الرماد) و(نؤوم الضحى) نلاحظ في هذه الأمثلة معنى ظاهر أو معنى سطحيًّا (وهو طويل النجاد)؛ أي: طويل القامة أو حمائل السيف، ومعنى عميقًا هو المقصود؛ وهو الشجاعة والقوة، وفي قولنا (كثير الرماد) هناك معنى سطحي وهو كثرة الرماد؛ نتيجة لكثرة الطعام، ومعنى عميق وهو الكرم، وفي قولنا:(نؤوم الضحى) معنى ظاهر أو سطحي وهو التأخر في النوم إلى الضحى، ومعنى عميق مقصود وهو العزُّ والتَّرفُ ووجود الخَدَم.

أمَّا في أمثلة المجاز على حدِّ الاستعارة والتمثيل ففي الاستعارة قولنا:(رأيتُ أسدًا)، و(إذا أصبحت بيد الشَّمال زمامها)، فالملاحظ في المثال الأول المعنى السطحي أو الظاهر هو الأسد وهو الحيوان المفترس، والمعنى العميق الذي يقصده المتكلم هو الرجل الشجاع. أمَّا المثال الآخر (إذا أصبحت بيد الشمال زمامها) فالمعنى السطحي هي اليد وهي الجارحة، أمَّا المعنى العميق وهو المقصود من الكلام فهي قوة الرِّيح.

وأمَّا التمثيل الذي يكون مجازا لمجيئه على حدِّ الاستعارة فهو قولنا:(أراك تُقدِّمُ رجْلاً وتُؤخِّرُ أخرى)، فالمعنى السطحي وهو المعنى الظاهر من تقديم رجل وتأخير أخرى، وهناك معنى عميق مقصود من الكلام وهو التردَّد.

ويأتي عبد القاهر بمثل آخر للتمثيل على حدِّ الاستعارة في قوله:"تقول للرجل: أراك تنفخ من غير فحم وتخط على الماء، فتجعله في ظاهر الأمر كأنه ينفخ ويخط على أنك في فعلك كمَنْ يفعل ذلك"[1]، وفي هذا المثال معنى ظاهر ومعنى عميق مقصود، فالمعنى السطحي أنَّ الرجل ينفخُ مِنْ فم ويخط على الماء، والمعنى العميق المقصود أنه يقوم بعمل لا فائدة من ورائه ،ولا منفعة له.

وفرَّق عبد القاهر بين المعنى الأول والمعنى الثاني وقال:"تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى آخر"[2]، ولا يتوصَّل الى معنى المعنى الا عن طريق صور البيان، وهي الكناية والاستعارة والتمثيل؛ أي: التحول من المعنى الأول إلى المعنى الثاني، فالمعنى الأول هو البنية السطحية والمعنى الثاني أي معنى المعنى هو البنية العميقة.

---

[1] الجرجاني، عبد القاهر، "دلائل الإعجاز"،، (ص٦٨).
[2] المصدر نفسه (ص٢٠٤).

وتحدَّث الجرجاني عن **ظاهرة التقديم والتأخير وامتدحها، وتحدث أيضًا عن المعني في البنية العميقة؛** ومن ذلك قوله:"إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرًا في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب بحكم أنها خدم للمعنى تابعة لها ولاحقة بها، وأنَّ العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق..، واللفظ تبع للمعنى في النظم، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس"[١].

وقال عن **أسبقية البنية العميقة للبنية السطحية:**"وإذا كان لا يكون في الكَلِم نظم ولا ترتيب إلا بأن يُصنع بها هذا الصنيعُ ونحوه، وكان ذلك كُلُّه مِمَّا لا يرجع منه إلى اللفظ شيء، ومِمَّا لا يُتصوّر أن يكون فيه ومن صفته.. بانَ لك أنَّ الأمر على ما قُلناه؛ من أنَّ اللفظ تبع للمعنى في النَّظمِ، وأنَّ الكلِم يترتب في النطق حسب ترتيب معانيه في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتاً وأصداءَ حروفٍ.. لما وقع في ضمير ولا هَجَسَ في خاطر أنه يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يُجعلَ لها أمكنة ومنازل، وأنه يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك"[٢].

ويرى الدكتور كمال بشر أنَّ اعتبار اللغة عملاً للعقل أو آلةً للفكر، والتعبيرَ الذاتيَّ، يعني أن للغة جانبين: جانبًا داخليًّا وآخر خارجيًّا. وكل جملة يجب أن تدرس من الجانبين. أمَّا الأول فيعبر عن الفكر، وأما الثاني فيعبّر عن شكلها الفيزيقي باعتبارها أصواتًا ملفوظة،وهذه الأفكار هي التي ظهرت بعد ذلك عند "تشومسكي" تحت اسم البنية العميقة والبنية السطحية، ولما كانت البنية العميقة تعبر عن المعنى في كل اللغات، فإنها تعكس أشكال الفكر الإنساني. وعلينا أن نعرف كيف تتحول هذه البنيةُ إلى كلام على السطح. ولما كانت اللغة لانهائيةً فيما تُنتج من جمل، رغم انحصار مادتها الصوتية، فإن هذا النحوَ يهتم أيضًا بدراسة النظام الأساسيِّ الذي تتولد منه قوانينُ البنية العميقة قبل تحويلها إلى كلام على السطح"[٣]. ومن المعروف أن تشكيل الجملة في النحو التوليدي يتضمن منظومتين من القواعد: (الأولى) هي الأساس الذي تتولد منه البنية العميقة للجملة، وهذا ما يعبر عنه بالمولد المعنوي الذي يمنح الجملة معناها. (والثانية) هي المولد التحويلي الذي ينتقل بالبنية العميقة إلى بنية سطحية، وهذه بدورها يعبر عنها بالمولد الصوتي الذي يمنحها اللفظ. وهكذا فإن توليد جملة

---

[١] المصدر نفسه (ص٦٠).

[٢] المصدر نفسه (ص٦٠) .

[٣] د.كمال بشر في كلمته التي رحب فيها بالدكتور: عبده الراجحي عند انضمامه لعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

كاملة يتضمن المراحل التالية: [الأساس ← البنية العميقة ← المولد المعنوي ← معنى المولد النحوي ← المولد التحويلي ←البنية السطحية ← المولد الصوتي ← لفظ]، وإن هذه النقلات النظرية أثرت في المكونات التركيبية وفي علاقتها بالصوت والمعنى. لكن ما ظل على حاله فيها كلها هو:

(أ) أن هناك مرحلة أولى في الاشتقاق يقع فيها التأليف بين الكلمات أو المورفيمات لبناء بنيات تركيبية.

(ب) وأن هذه البنيات تخضع لعدد من العمليات التركيبية المتنوعة.

(ج) وأن بعض هذه البنيات يجري إرساله إلى الواجهة الصوتية ليتحول إلى متواليات منطوقة، وبعضها الآخر يرسل إلى الواجهة الدلالية لكي يتحول إلى متواليات مفهومة. فالتركيب باختصار شديد ظل مصدر النظام اللغوي في تفاصيله كلها.

اَلْمَطْلَبُ الأَوَّلُ: مِنْ وَسَائِلِ التَّحْوِيلِ مِنْ العَمِيْقَةِ إِلَى السَّطْحِيَّةِ عِنْدَ عَبْدِ اَلْقَاهِرِ.

تحدَّث عبد القاهر الجرجاني على كثير من وسائل التحويل من العميقة إلى السطحية، حيث يقول إجمالاً:" ويتصرفُ في التّعريفِ والتّنكيرِ والتّقديمِ والتّأخير في الكلام كُلّه، وفي الحذفِ والتّكرارِ والإضمارِ والإظهار، فيضعُ كلاً من ذلك مكانَهُ، ويستعملهُ على الصّحَّة وعلى ما ينبغي له"[١].

أَوَّلاً: اَلْحَذْفُ:

* **<u>الحَذْفُ اصْطِلاحًا</u>** : يقصد به النحاة "حَذْفُ العَامِلِ مَعَ بَقَاءِ أَثَرِهِ الإِعْرَابِيّ ؛ أَوْ هُوَ : إِسْقَاطُ صِيَغٍ ـ أَلْفَاظٍ ـ دَاخِلَ التَرْكِيْبِ فِي بعضِ المَوَاقِفِ اللُّغَوِيَّةِ ، وهذه الصِّيَغُ التي يَرَى النُّحَاةُ أَنَّها محذوفةٌ تَلْعَبُ دَوْرًا في التركيبِ في حَالَتَيّ الذِّكْرِ والإِسْقَاطِ ، وهذه الصِّيَغُ يُفْتَرَضُ وجُوْدُهَا نَحْوِيًا لِسَلامَةِ التركيبِ وتطبيقًا للقواعِدِ، ثُمَّ هي موجودةٌ ويُمْكِنُ أَنْ تكونَ مَوْجُوْدَةً في مواقِفَ لُغَوِيَّةٍ مختلفةٍ"[٢].وبعضهم يطلق الحذف علي "ما لا يبقى له أثرٌ في اللفظِ"[٣]، ويُمْكِنُ أن يُطلق علي "حذف العامل وتدع ما عمل فيه علي حاله من الإعراب"[٤]، ويُمكن القول هنا: إنَّ المحذوفَ شبه معروف على الرُّغم من غيابه؛ ويُمكن تقديره بسهولة لأنَّهُ مفهومٌ من السِّيَاق. ويري **ابن هشام** أنَّ "الحذف الذي يلزم النحوي النظر فيه هو ما اقتضته الصِّنَاعَةُ، وذلك بأنْ يجد خبرًا بدون مبتدأ أو بالعكس، أو شرطًا بدون جزاء أو بالعكس، أو معطوفًا أو معمولاً بدون عامل"[٥]، ويَشْتَرِطُ النُّحَاةُ والعلماءُ شروطًا لوقوع الحذف النحويّ:

١ـ **وجودُ دَلِيْلٍ مَقَالِي**: وهو كلام يدل علي المحذوف؛ كما في قوله تعالي:**﴿مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً﴾**[٦]؛ أي: أنزل خيرًا، فحذف الفعل للدليل المقالي.

٢ـ وجودُ دليلٍ حَالي: ويُفْهَمُ من سياق الكلام وحال المتكلمين ؛ نحو قوله :**﴿قَالُوا سَلاماً﴾**[٧].

---

[١] الجرجاني، عبد القاهر، "دلائل الإعجاز"،(ص٧٨).
[٢] أبو المكارم،علي،(١٩٦٤م)، "الحذف والتقدير"، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (ص١٩٦).
[٣] الزركشي، بدر الدين،(١٩٧٢م)،"البرهان في علوم القرآن"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (٣ /١٠٢).
[٤] أبو المكارم،علي،"الحذف والتقدير"(ص ٢٠٥).
[٥] ابن هشام، عبدالله بن يوسف،(١٩٨٥م)، "مغني اللبيب"، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط٦، (١٧٦/٢).
[٦] سورة النحل، الآية (٣٠).
[٧] سورة الفرقان، الآية (٦٣).

٣- وضوحُ المعني وأمْنُ اللَّبْس: وهذا من أهم الشروط التي يجب مراعاتها مع كُلِّ ما يتصل بالنشاط اللغوي وظواهره المختلفة؛ كالاختصار والاستغناء والحذف والتقديم والتأخير..الخ.

٤- ألا يكون مُؤكَّدًا: لأنَّ الحذفَ منافٍ للتأكيد إذْ الحذفُ مَبْنِيٌّ على الاختصار والتأكيد مَبْنِيٌّ على الطول.

٥- ألا يُؤَدِّي حَذْفُهُ إلى اخْتِصَارِ المُخْتَصَرِ: ومن ثَمَّ لم يُحْذَفْ اسمُ الفِعْلِ؛ لأنَّهُ اخْتِصَارٌ للفِعْلِ، وقال **ابن جني** في المحتسب: أخبرنا **أبو علي** قال:حذف الحرف ليس بقياسٍ؛ لأنَّ الحروفَ إنَّمَا دخلت الكلامَ لِضَرْبٍ من الاختصار، فلو ذَهَبْتَ تحذفها لكنت مُخْتَصِرًا لها هي أيضًا واختصارُ المُخْتَصَرِ إجْحَافٌ بِهِ حذف[١].و"جَرَتْ عَادَةُ النَّحْوِيِّينَ أنْ يقولوا يحذف المفعول اختصارًا واقتصارًا، ويُريدون بالاختصار الحذفَ لدليلٍ وبالاقْتِصَارِ الحذفَ لغَيْرِ دَلِيْلٍ، ويمثلونه بنحو: كلوا واشربوا؛ أي: أوقعوا هذين الفعلين"[٢].

* **<u>أنْوَاعُ الحَذْفِ:</u>**[٣] يكثرُ الحذفُ في اللُّغَةِ العربيةِ، وهو أكثرُ مِنْ أنْ يُحْصَى في القرآن الكريم "، وهو ينقسم قسمين **أحدهما**: حذف الجمل، **والآخر:** حذف المفردات، وقد يرد كلام في بعض المواضع ويكون مُشتملاً على القسمين معًا، فأما القسم الأول وهو الذي تحذف منه الجمل فإنَّهُ ينقسمُ إلى قسمين أيضًا؛ **أحدهما**:حذف الجمل المفيدة التي تستقل بنفسها كلامًا؛ وهذا أحسنُ المحذوفاتِ جميعها وأدَلُّهَا على الاختصار"[٤].

هذا ويشيعُ الحذفُ ومظاهرُهُ في معظمِ أبوابِ النَّحْوِ العربّي والصرفِ؛ وذلك لأنَّ "العربَ قد حذفت الجملة والمفردَ والحرفَ والحركة، وليس من شيءٍ من ذلك إلا عن دليلٍ عليه، وإلا كان فيه ضربٌ مِنْ تَكْلِيْفِ عِلْمِ الغَيْبِ في معرفته"[٥]. وتأتي أهميةُ القولِ بالحذف في أنَّه "أحدُ المَطَالِبِ الاستعمالية؛ فقد يعرض لبناء الجملة المنطوقة أن يحذف أحد العناصر المُكونة لهذا البناء- أو الجملة المكتوبة - وذلك لا يَتِمُّ إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد حذفها مُغْنيًا

---

[١] ابن جني، أبو الفتح،(١٩٩٩م)، "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها"، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، (٥١/١).

[٢] ابن هشام، عبدالله بن يوسف،"مغني اللبيب"(٧٩٧/١).

[٣] ينظر: السيوطي، جلال الدين،(١٩٩٠م)، "الأشباه والنظائر"، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (٥١/١ ، ٥٢) ، وابن الأثير، ضياء الدين،"المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"،تحقيق: بدوي طبانة وأحمد الحوفي، ط نهضة مصر، القاهرة،(٢٣٢/٢).

[٤] ابن الأثير، ضياء الدين، "المثل السائر"، (٢٢١/٢).

[٥] ابن جني،"الخصائص"،(٣٦٢/٢) .

في الدلالة كافيًا في أداء المعنى، وقد يُحذفُ أحدُ العناصر؛ لأن هناك قرائنُ معنوية أو مقالية تشير إليه[1]" كما سبق أن ذكرنا، ولذلك يقول **ابن جني**:"إنَّ العربَ إذا حذفت من الكلمة حرفًا ـ أو حذفت الكلمة كُلَّهَا ـ راعت حال ما بقى منه، فإنْ كان مما تقبله أمثلتهم أقروه على صورته"[2]؛ لأن "حذف ما حُذِفَ من الكلمة يبقي منها بعده مثالاً مقبولاً، لم يكن لك بدٌّ في الاعتزام عليه، وإقراره على صورته تلك البتَّة"[3]. ويرى المبرد أنَّ "والحذف موجود في كل ما كثر استعمالهم إياه"[4].إنَّ الحذف يكون في ركن رئيس في الجملة التوليدية فتتحول الى تحويلية، ولكنها تبقى على ما هي عليه من حيث الفعلية أو الاسمية ويكون تقدير الركن المحذوف لتكتمل الجملة التوليدية ويتخفف الجزء الرئيسي في تعريفها (الحد الأدنى التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه)، ويكون الحذف للبلاغة في القول والايجاز فيه أو للتعظيم أو للتحقير..الخ، ويرمز للركن المحذوف بالاشارة التي ترمز إلى ركن محذوف وهو عنصر تحويل"[5].

وقد عقد عبد القاهر في (دلائل الاعجاز) بابًا عن الحذف مُستشهدًا بأمثلة كثيرة، وقدَّم لهذا الباب بقوله:"بابٌ دقيقُ المَسْلك لطيفُ المأخذِ،عجيبُ الأمرِ،شبيهٌ بالسِّحْرِ؛ فإنَّك ترى أنَّ تَرْكَ الذِّكْرِ أفْصَحُ من الذكر،والصَّمْتَ عند الإفادةِ أزيدُ للإفادةِ،وتجد أنطق ما تكون إذا لم تنطق،وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تُبِنْ، وهذه جملةٌ قد تنكرُها حتى تُخبَر وتدفَعُها حتى تنظر أنا أكتبُ لك بَديئاً أمثلةً ممَّا عَرَض فيه الحذفُ ثم أنبِّهك على صحةِ ما أشرتُ إليه وأقيمُ الحُجَّة "[6].

---

[1] عبد اللطيف، محمد حماسة،(١٩٨٢م)،"في بناء الجملة العربية"، ط دار القلم، الكويت، (ص٣٤٦).

[2] ابن جني ،"الخصائص"(٣ /١١٧).

[3] المرجع السابق (١١٥/٣).

[4] المبرد، محمد بن يزيد، "المقتضب"، المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة، هالم الكتب، بيروت، (١٤٦/٢).

[5] عمايرة، أحمد خليل،(١٩٨٤م)، "في نحو اللغة وتراكيبها"، عالم المعرفة ، جدة، السعودية، (ص١٠٠- ١٢٦).

[6] الجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص١٢١)،وينظر: سيبويه، أبو عمرو بن بحر،"كتاب سيبويه"، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، (٣٦/١)، وابن جني،"الخصائص"(٤٣٢/٢).

١- عرض لحذف المبتدأ: كما في قول الشاعر[١]:

دارٌ لِمَــرْوَةَ إذْ أهْلــي وأهْلُهــمُ بالكَانِسِــيَّةِ نَرْعَــى اللَّهْــوَ والغَــزَلا

كأنه قال : تلك دارٌ.وأورد أمثلة كثيرة على حذف المبتدأ، ونذكر منها قول الأقيشر في ابن عم موسر سأله فمنعه، وقال: كم أعطيك مالي وأنت تنفقه فيما لا يعنيك والله لا أعطيك، فتركه حتى أجتمع القوم في ناديهم، وهو فيهم، فشكاه إلى القوم وذمَّه، فوثب إليه فلطمه، فأنشأ يقول[٢]:

سَريعٌ إلى ابْنِ العَمِّ يَلْطِم وَجْهَهُ ... ولَـيْسَ إلـى داعـي النَّـدَى بسَـريع
حَريصٌ على الدُّنيا مُضِيعٌ لِدينِـهِ ... ولَــيْسَ لِمَــا فــي بَيْتِــهِ بمُضــيع

فتأمَّل الآن هذه الأبيات كُلَّها واستقرها واحدًا واحداً، وانظر إلى موقعها في نفسك وإلى ما تجده من اللُّطفِ والظُّرف إذا أنت مررت بموقع الحذف منها، ثُمَّ قلبت النَّفس عمَّا تجد وألطف النظر فيما تحسُّ به، ثُمَّ تكلف أن ترد ما حذف الشاعر، وأن تخرجه إلى لفظك وتوقفه في سمعك فإنك تعلم أنّ الذي قلت كما قلت ، وأنّ رُبَّ حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد"[٣].

٢- كما بيَّن الحذف في الفعل: مستشهدًا بقول الشاعر [٤]:

ديــارَ ميّــة إذ مــيٌّ تســاعفنا ولايــرى مثلهــا عجــم ولا عــربُ

أنشده بنصب (ديار) على إضمار فعل كأنه قال :(اذكر ديار مية).

---

[١] البيت لعمرو بن أبي ربيعة، في ديوانه، وهو من البسيط، ينظر: الجرجاني، عبد القاهر،"دلائل الإعجاز"،(ص١٢٢)، وسيبويه، "الكتاب"(٢٨٢/١)، وابن منظور،"لسان العرب"(١٩٧/٦) مادة (كنس).

[٢] البيتان من الطويل، ونسبهما الدسوقي للمغيرة بن عبد الله والصحيح أنهما للأقيشر وهو شاعر كان مغرمًا بالشراب وله شعر فيه، ينظر: الجرجاني، "دلائل الاعجاز "، ،(ص١٢٥)، والحموي، تقي الدين(١٩٨٧م)،"خزانة الأدب" ،تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت،(٢٥٥/١)، والقزويني، الخطيب جلال الدين(١٩٩٨م)،" الإيضاح في علوم البلاغة"، دار إحياء العلوم – بيروت،(ص٣٨).

[٣] الجرجاني، "دلائل الاعجاز "، ،(ص١٢٥).

[٤] البيت لذي الرُّمة، وهو من البسيط. ينظر:سيبويه، "الكتاب" (٢٤٧/٢)، والمبرد، محمد بن يزيد، (١٩٩٧م)، "الكامل في اللغة والأدب"، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم،ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، (٣١/٣)، وابن مالك، محمد بن عبد الله،(١٩٩٠م)،" شرح تسهيل الفوائد"، المحقق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، القاهرة،(١٦٠/٢)،والجرجاني، "دلائل الاعجاز "،ص١٢٥)، السيوطي،"همع الهوامع"(١٨/٢).

وإذا ألقينا نظرة متفحصة إلى الأمثلة والأبيات التي أوردها عبد القاهر؛ وما يُوازي ذلك من عناصر النظرية التحويلية، وأي العناصر يمكن أن نراه في هذه الأمثلة؟

والحذف هو العنصر الآخر من عناصر النظرية التحويلية، وقد تحدث عنه عبد القاهر وبيّن أنواعه، وفي الأمثلة السابقة تحدَّث عن حذف المبتدأ، وحذف الفعل، ولكن سنلقي نظرة على الأمثلة، وهذه المرة انطلاقا من رؤية القائلين بالنظرية التحويلية، ففي المثال الأول وهو حذف المبتدأ بقوله (دارٌ لمية) فنلاحظ أنَّ (دار) جزء من الجملة التوليدية الاسمية، وهي تتكون من المبتدأ والخبر، ولكن حذف الركن الأول من أكان الجملة وبقي الخبر، أمَّا الركن المحذوف فيُمكننا أن نُقدِّره بقولنا (هي دارٌ)، ونلاحظ أنَّ الجملة التحويلية بعد الحذف أفصحُ وأبلغُ، وكذلك في حذف الفعل في البيت الآخر (ديارَ مية)، حيثُ نلاحظ أنَّ الأصل في هذه الجملة (أذكر ديارَ ميّة)، وهي جملة توليدية فعلية تتكون من الفعل + الفاعل (المقدر) + المفعول به، طرأ على هذه الجملة عنصر من عناصر التحويل وهو الحذف، وهذه المرة هو الفعل فأصبحت الجملة جملةً تحويلية؛ حُذف أحد عناصرها هو الفعل (أذكر)، وبقي الركن الآخر وهو المفعول به (ديار)، أمَّا بالنسبة إلى المثال الآخر وهو قول الشاعر (سريعٌ إلى ابن العم) وقوله (حريصٌ على الدنيا) فهو من باب حذف المبتدأ، حيث إنَّ أصل الجملة الاولى (هو سريعٌ)، والثانية (هو حريص)، وكُلُّ جملة منهما تعتبر جملة توليدية اسمية، تتكون من اسمين المبتدأ والخبر، ثم طرأ عليها عنصر تحويل؛ وهو حذف أحد ركني الجملة، فأصبحت جملة تحويلية تحتوي على أحد عناصر التحويل وهو الحذف، فأصبحت بصورتها الأخيرة وهي:(سريعٌ إلى ..)و(حريص على ..).

٣- <u>حذف المفعول به:</u>

وله أنواعه المختلفة:

أ- القسم الاول من حذف المفعول؛ وهو لا يكون له مفعول يمكن النَّصُّ عليه، حيثُ يوضِّحُ ذلك بقوله:" فاعلم أنَّ أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية، فهم يذكرونها تارةً، ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي أشتقَّت منها للفاعلين؛ من غير أن يتعرَّضوا لذكر المفعولين، فإذا كان الأمر كذلك كان الفعل المتعدي كغير المتعدي، مثلًا في أنَّك لا ترى له مفعولاً لا لفظاً ولا تقديراً، ومثال ذلك قول الناس:(فلان يحلُّ ويعقد، ويأمر وينهي، ويضر وينفع) ، وكقولهم:(هو يعطي ويجزل، ويقري ويضيف) المعنى في جميع ذلك على إثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق، وعلى الجملة من غير أن يتعرض لحديث المفعول حتى كأنَّك قلت: صار إليه الحلُّ والعقد، وصار بحيث يكون منه حلٌّ وعقد وأمر ونهي، وضُرٌّ ونفع، وعلى هذا القياس، وعلى ذلك

قوله تعالى ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾[1] المعنى هل يستوي من له علم ،ومن لا علم له، من غير أن يقصر النص على معلوم، وكذلك قوله تعالى: ﴿**وأنه هو أغنى وأقنى** ﴾[2]المعنى هو الذي منه الإحياء والإماتة، والاغناء والاقناء وهكذا"[3].

وإذا ألقينا نظرة متفحصة إلى النوع الأول من حذف المفعول؛ نلاحظ في هذا النوع أن الفعل يكون متعديًا، ولكن بالرغم من ذلك فإننا لانرى مفعولا به لاظاهرًا ولا مُقدَّرًا، وبذلك فإنَّ هذه الأفعال تشبه في هذه الناحية الأفعال اللازمة، ولكن من وجهة نظر التحويلين إلى هذه الأمثلة نلاحظ الآتي:

ففي المثال الذي أورده عبد القاهر؛ وهو(فلان يحل ويعقد ويأمر وينهي، ويضر وينفع)، وكقولهم (هو يعطي ويجزل ويقري ويضيف) نلاحظ أنَّ الجملة السابقة جمل توليدية فعلية، تتكون من الفعل والفاعل والمفعول به، وذلك لأنَّ هذه الأفعال أفعال متعدية، طرأ عليها عنصر من عناصر التحويل وهو حذف المفعول، فأصبحت جملاً تحويلية تحتوي على أحد عناصر التحويل وهو الحذف: فعل + الفاعل (المستتر)+ ...

والقصد من هذه الجمل هو اثبات المعنى المطلق للافعال فقوله (فلان يحل ويعقد ويأمر وينهي ويضر وينفع) كأنك قلت: صار إليه الحل والعقد، وصار بحيث يكون منه حل وعقد، وأمر ونهي وهكذا. ولعلَّ هذا الكلام ينطبق على الآيات الكريمة التي وردت في قوله تعالى:﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾[4] فقوله يعلمون:هي جملة توليدية فعلية تتكون من الفعل والفاعل والمفعول به طرأ عليها عنصرا تحويل حذف المفعول به، فأصبحت جملة تحويلية تحتوي أحد عناصر التحويل وهو الحذف.

أمَّا قوله:(لا يعلمون) فهي جملة توليدية فعلية تتكون من الفعل والفاعل والمفعول به، طرأ عليها عنصرا تحويل: الأول حذف الفعول به، والثاني عنصر الزيادة وهو (لا)، فأصبحت جملة تحويلية والمقصود من الآية الكريمة هو إثبات الصفة المطلقة لهذه الافعال؛ أي أنَّ المعنى: لا يستوي مَنْ له علم ومَنْ لا علم له.

---

[1] سورة الزمر، الآية (٩).
[2] سورة النجم، الآية (٤٨).
[3] الجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص١٢٨).
[4] سورة الزمر، الآية (٩).

وكذلك يمكن القول في حذف المفعول في قوله تعالى :**﴿وأنه هو أغنى وأقنى﴾** و**﴿أنه هو أضحك وأبكى، وأنه هو أمات وأحيا﴾**، حيث نلاحظ في قوله:(أغنى، أضحك، أبكى، أمات، أحيا)، أنَّ هذه الجمل جمل توليدية فعلية تتكون من الفعل والفاعل والمفعول على اعتبار أنها أفعال متعدية، طرأ عليها عنصر تحويل وهو حذف المفعول فأصبحت جملاً تحويلية تحتوي على أحد عناصر التحويل وهو الحذف.

ب - القسم الثاني: فهو أن يكون له مفعول مقصود قصده معلوم إلا أنه يحذف من اللفظ لدليل الحال عليه وينقسم إلى جلي لا صنعة فيه، وخفي تدخله الصنعة فمثال الجلي قولهم (أصغيت إليه) وهم يريدون أذني، و(أغضيت عليه) والمعنى جفني، وأمَّا الخفي الذي تدخله الصنعة فمثاله أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص قد علم مكانه، إمَّا لجري ذكر أو دليل حال إلا أنك تنسيه نفسك، وتخفيه وتوهم أنك لم تذكر ذلك الفعل إلا لأنك تثبت نفس معناه من غير أن تعديه إلى شيء أو تعرض فيه لمفعول ومثاله قول البحتري[1]:

شَجْوُ حُسَّادِهِ وغيظُ عِداهُ ... أن يَرى مُبْصِرٌ ويَسْمَعَ وَاع

والمعنى: لامحالة أن يرى مبصر محاسنه، ويسمع واع أخباره وأوصافه، ولكنَّك تعلم على ذلك أنه كان يسرق علم ذلك من نفسه، ويدفع صورته عن وهمه ليحصل له معنى شريف وغرض خاص، وقال: إنه يمدح خليفة؛ وهو المعتز، ويُعرِّضُ بخليفةٍ؛ وهو المستعين، فأراد أن يقول: إن محاسن المعتز وفضائله يكفي أن يقع عليها بصر ويعيها سمع حتى يعلم أنه المستحق للخلافة، والفرد الوحيد الذي ليس لأحد أن ينازعه مرتبتها، فأنت ترى حساده وليس شيء أشجى لهم وأغيظ من علمهم بأن ههنا مبصر يرى، وسامعًا يعي حتى ليتمنون أن لايكون في الدنيا من له عين يبصر بها وأذن يعي معها، كي يخفي مكان استحقاقه للإمامة لشرف الإمامة فيجدون بذلك سبيلا إلى منازعته إياها". [2]

وإذا ألقينا نظرة إلى الأمثلة التي جاءت على نوع آخر من حذف المفعول ومن خلال نافذة التوليد والتحويل نلاحظ الآتي:

فمثال حذف المفعول لدليل الحال عليه هو قولك (أصغيت إليه) وهم يريدون أُذني، و(أغضيت عليه) والمقصود جفني، حيث أن أصل الجملة الأولى هو: أصغيت إليه أُذن، والثانية: أغضيت عليه جفني، وكل منهما جملة توليدية فعلية طرأ عليها عنصر من عناصر التحويل وهو حذف المفعول به

---

[1] من الخفيف. ينظر:النويري، شهاب الدين،(٢٠٠٤م)،"نهاية الأرب"، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية ، بيروت،لبنان، ط١،(٦٥/٧)،والقزويني،جلال الدين،"الإيضاح في علوم البلاغة"(١٠٤/١)،والجرجاني، "دلائل الاعجاز" (ص١٢٨).

[2] الجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص١٢٩).

وهو (أذني) و(جفني)، فأصبحت كل منهما جملة تحويلية تحتوي على أحد عناصر التحويل وهو حذف المفعول به.

وأمَّا المثال الثاني، وهو الخفي الذي تدخله الصنعة كما أورده الجرجاني، فهو قول البحتري (أن يرى مبصر ويسمع واع) فإذا نظرنا إلى هذا الشطر من البيت نلاحظ أن هناك حذفًا، حيث إنَّ اصل الجملة أن يرى مبصر محاسنه، ويسمع واع أخباره وأوصافه، وذلك أنّ كل جملة من الجملتين جملة توليدية فعلية ثم طرأ على كل منهما عنصرمن عناصر التحويل، وهو حذف المفعول به لدليل الحال عليه وهو (محاسنه) في الأولى، و(أخباره) في الثانية، فأصبحت كل من الجملتين جملة تحويلية تحتوي أحد عناصر التحويل وهو الحذف.

ج - ثم يأتي عبد القاهر على نوع آخر من حذف المفعول بقوله:"وهذا نوع آخر منه، وهو أن يكون معك مفعول معلوم مقصود قصده قد عُلم أنه ليس للفعل الذي ذكرت مفعول سواه بدليل الحال أو ما سبق من الكلام إلا أنَّك تطرحه، وتتناساه وتدعه يلزم ضمير النفس لغرض غير الذي مضى، وذلك الغرض أن تتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل وتخلص له وتنصرف بجملتها ، وكما هي إليه كقول عمر بن معدي كرب [1]:

فلوْ أنَّ قومِي أنطقتِني رمَاحُهُمْ ... نطقتُ ولكِنَّ الرماحَ أجرَّتِ

(أجرت) فعل متعد، ومعلوم أنه لو عداه لما عداه الا ضمير المتكلم نحو (ولكن الرماح أجرتني)، وأنه لا يتصور أن يكون ها هنا شيء آخر يتعدَّى إليه، لاستحالة أن يقول:(فلو أن قومي أنطقتني رماحهم) ثم يقول:(ولكن الرماح أجرت غيري) الا أنك تجد المعنى يلزمك أن لا تنطق بهذا المفعول، ولا تخرجه إلى لفظك، والسبب في ذلك أن تعديتك له توهم ما هو خلاف الغرض، وذلك أن الغرض هو أن يثبت أنه كان من الرماح إجرار، وحبس الألسن عن النطق) [2]،وفي المثال السابق نلاحظ أن أصل الجملة هو (أجرّتني) وهي جملة توليدية فعلية، ثم طرأ على هذه الجملة عنصر من عناصر التحويل وهو حذف المفعول به وهو (ياء المتكلم) فأصبحت جملة تحويلية.

---

[1] البيت من الطويل. ينظر: الجاحظ،عمرو بن بحر،(١٩٦٨م)،"البيان والتبيين"، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت،ط١، (ص١٢١)،وابن جني،أبو الفتح بن عثمان،(١٩٨٥م)،"سر صناعة الإعراب"، تحقيق : د.حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، سوريا،ط١،(٣٩٣/١)، والقزويني، جلال الدين، "الإيضاح في علوم البلاغة"،(١٠٥/١)،والجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص١٢٩).

[2] الجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص١٢٩).

ويأتي عبد القاهر بمثال آخر على هذا النوع من الحذف بقوله:"وإن أردت أن تزداد تبيينا لهذا الأصل – اعني وجوب أن تسقط المفعول لتتوفر العناية على إثبات الفعل لفاعله ولا يدخلها شوب – فانظر إلى قوله تعالى:﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۖ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ**﴾ [1] ففيها حذف مفعول في أربعة مواضع ، اذ المعنى : وجد عليه أمة من الناس يسقون اغنامهم أو مواشيهم وامرأتين تذودان غنمهما وقالتا لا نسقي غنمنا فسقى لهما غنمهما.[2] نلا حظ أن الأصل في الجمل هو (يسقون أغنامهم) ،و (امرأتين تذودان غنمهما) و(لا نسقي غنمنا) و(فسقى لهما غنمهما) والجملة السابقة هي جملة توليدية فعلية طرأ عليها عنصر من عياصر التحويل وهو حذف المفعول به فأصبحت جمل تحويلية تحتوي على عنصر تحويل واحد، وأما جملة (لا نسقي) فهي جملة توليدية فعلية تحتوي على عنصري تحويل الاول هو حذف المفعول والثاني هو زيادة (لا) فأصبحت جملة تحويلية .

٤- الإضمار على شريطة التفسير: بيّن عبد القاهر نوعا آخر من الحذف بقوله :"أعلم أنّ ههنا باباً من الاضمار والحذف يسمى الإضمار على شريطة التفسير، وذلك مثل قولهم :(أكرمني وأكرمت عبد الله) ثم تركت ذكره، ففي الأول استغناء بذكره في الثاني، ومنه قول البحتري[3]:

لَوْ شِئْتَ لَمْ تُفْسِدْ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ ... كَرَماً وَلَمْ تَهْدِمْ مَآثِرَ خَالِدِ

الأصل: لا محالة (لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها) ثم حذف ذلك من الأول؛ استغناءً بدلالته في الثاني عليه"[4]. والملاحظ في هذا النحو من الحذف هو عدم الذكر، ففي المثال (أكرمني وأكرمت عبد الله) حيث إنَّ الأصل: (أكرمني عبد الله وأكرمت عبد الله)، فجملة (أكرمني عبد الله) جملة توليدية فعلية ثم طرأ على هذه الجملة عنصر من عناصر التحويل، وهو حذف الفاعل بدلالة الجملة الثانية، فأصبحت جملة تحويلية تحتوي أحد عناصر التحويل وهو الحذف.وكذلك في قول البحتري (لو شئت لم تفسد سماحة حاتم) حيث إنَّ

---

[1] سورة القصص، الآيتان:(٢٣-٢٤) .
[2] الجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص١٣٢).
[3] البيت من الكامل. ينظر: ابن الأثير، ضياء الدين،"المثل السائر"(٩٢/٢)،والقزويني، جلال الدين، "الإيضاح في علوم البلاغة"،(١٠٥/١)، والجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص١٢٩).
[4] الجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص١٣٣).

الأصل: لا محالة لو شئت أن لا تفسد حاتم لم تفسدها، حيث نلاحظ أن الحذف كان في الجملة (أن لا تفسد) وهي جملة توليدية فعلية بدلالة الجملة التوليدية الفعلية الأخرى عليها (لم تفسد).

وسيطول بنا المقام لو رحنا نتتبع الحذف وأمثلته وشواهده في دلائل الإعجاز ، وما يهمنا هنا أنَّ ما يراه الجرجاني في ظاهرة الحذف يتطابق مع كثير من آراء المدرسة التوليدية التحويلية. يقول الجرجاني:"وليس لنتائج هذا الحذفِ؛ أعني حذفَ المفعول، نهايةٌ، فإنه طريقٌ إلى ضُروبٍ من الصِّنعة وإلى لطائفَ لا تُحصى.." [١].

(٢) التقديم والتأخير .

وهو: نقل لفظ عن رتبته في نظام الجملة العربية؛ فرتبة الفاعل قبل المفعول، والمبتدأ قبل الخبر، فإذا جاء الكلام على عكس ذلك؛ قيل: إن فيه تقديمًا وتأخيرًا. وقد امتدح النحاة العرب هذه الظاهرة ومنهم عبد القاهر الجرجاني الذي يقول عن التقديم والتأخير:"هو بابٌ كثيرُ الفوائد جَمُّ المحاسن واسعُ التصرُّف بعيدُ الغاية. لا يزالُ يفتَرُّ لك عن بديعةٍ ويُفضي بكَ إلى لطيفةٍ. ولا تزالُ ترى شِعراً يروقُك مسمَعُه ويَلطُف لديك موقعُه ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أنْ راقك ولُطف عندك أن قُدِّم فيه شيءٌ وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان[٢]، ويقول سيبويه عن العرب:"إنهم يقدمون في كلامهم ما هم ببيانه أعنى؛ وإن كانا جميعًا يهمانهم ويعنيانهم"[٣]. وقسَّم سيبويه التقديم قائلاً:"إما أن يقدم في الرتبة دون الحكم؛ كتقدم المفعول به على فاعله، وإما أن يقدم في الرتبة والحكم معًا؛ كتقديم رتبة المفعول وحكمه في باب الاشتغال إذا ما ارتفع بالابتداء؛ كما في قولهم: زيدٌ ضربته"[٤]. وقد درس النحاة العرب هذه الظاهرة وأوردوا لها الضوابط؛ فالتقديم والتأخير لا يصلح في كل المواضع؛ لأن الأصل عدم التقديم والتأخير[٥].فمثلاً "عوامل الأفعال لا يجوز فيها التقديم والتأخير؛ لأنها لا تتصرف"[٦]،"وإنما يصلح التقديم والتأخير إذا كان الكلام موضحا"[٧].

---

[١] الجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص١٣٢).
[٢] ينظر : دلائل الإعجاز (ص٣٣) .
[٣] سيبويه،"الكتاب"(٢١٢/٢) .
[٤] سيبويه،"الكتاب"(٦٥/١) .
[٥] ينظر:ابن هشام، "مغني اللبيب" (٥٧٩/١)، والسيوطي، جلال الدين،"همع الهوامع"، (١١٣/٣).
[٦] ينظر : المبرد، "المقتضب"(١٠/٢).
[٧] ينظر : سيبويه، "الكتاب"(٥٦/١)، والمبرد "المقتضب"(٩٥/٣ ، ١١٨).

إنَّ الترتيب هو أحد عناصر النظرية التحويلية، حيث "أخذ الدكتور خليل العمايرة برأي عبد القاهر في دلائل الاعجاز، وبرأي أهل الكوفة ويستند فيها إلى ماجاء في كتاب سيبويه وأبي حيان في البحر المحيط من أن العرب إذا أرادت العناية بشيء قدمته"[1]، وبذلك فإنَّ الترتيب أو التقديم والتأخير يعتمد على رأي عبد القاهر في دلائل الاعجاز ورأي أهل الكوفة، حيث أفرد في كتابه المذكور بابا في التقديم والتأخير، وقد ذكر أهمية هذا الباب في قوله السابق، ثم قسم التقديم والتأخير على نوعين:

الأول: تقديم على نية التأخير: وهو كل تقديم اقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ اذا قدمته على المبتدأ والمفعول اذا قدمته على الفاعل كقولك: (منطلقٌ زيدٌ)، و(ضربَ عمراً زيدٌ)، معلوم أن (منطلق)، و(عمرا) لم يخرجا بالتقديم عما كانا عليه من كون (منطلق) خبر مبتدأ ومرفوع بذلك وكون (عمرا) مفعولاً ومنصوبًا من أجله كما يكون عند التأخير.

الثاني:التقديم لاعلى نية التأخير: وهو أن تنقل الشيء من حكم الى حكم وتجعله في باب غير بابه وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن تأتي إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرًا له، فتقدم تارة هذا على ذاك، واخرى العكس، ومثال ذلك جملة (زيدٌ المنطلق)، حيث نقول تارة (زيد المنطلق)، وأخرى (المنطلق زيد)، ففي هذا لم نقدم (المنطلق) على أن يكون متروكًا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، فيكون خبر مبتدأ ، كما كان، بل على أن تنقله من كونه خبرًا إلى كونه مبتدأ، وكذلك لم نؤخر (زيدًا) على أن يكون مبتدأ، بل على أن نخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرًا ،وأوضح من هذا قولنا (ضربتُ زيداً، وزيداً ضربته) لم نقدم (زيدًا) على أن يكون مفعولًا منصوبًا بالفعل كما كان، ولكن على أن نرفعه بالابتداء، ونشغل الفعل بضميره، ونجعله في موضع الخبر له، ولعلَّ كُلَّ هذا التقديم هو العناية والاهتمام[2]. وبيان ذلك ما أوضحه" النحويون: أنَّ معنى ذلك أنه قد يكون من أغراض الناس في فعل ما أن يقع بإنسان بعينه، ولايبالون مَنْ أوقعه، كمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجي، يخرج فيعبث ويفسد ويكثر به الأذى، إنهم يريدون قتله، ولايبالون مَنْ كان القتل منه، ولايعنيهم منه شيء، فإذا قتل وأراد مريد الإخبار بذلك، فإنَّه يُقدِّم ذكر الخارجي، فيقول:(قتلَ الخارجيَّ زيدٌ)؛ ولايقول:(قتل زيدٌ الخارجي)، لأنه يعلم أن ليس للناس في أن يعلموا أن القاتل له زيد جدوى وفائدة

---

[1] عمايرة، خليل أحمد، "العامل النحوي"، جامعة اليرموك، الأردن (ص٨٦).
[2] الجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص٩٧).

فيعنيهم ذكره ،ويهمهم، ويتصل بمسرتهم ويعلم من حالهم ان الذي هم متوقعون له ومتطلعون إليه حتى يكون وقوع القتل بالخارجي المفسد،وأنهم قد كفوا شره، وتخلصوا منه٠ ثم قالوا فإن كان رجل ليس له بأس ولا ُيقدرون فيه أنه يقتل فقتل رجلاً، فأراد المخبر أن يخبر بذلك، فإنه يقدم ذكر القاتل فيقول : (قتلَ زيدٌ رجلاً)٠ذاك لأن الذي يعنيه ويعني الناس من شأن هذا القتل طرفته، وموضع الندرة فيه". [1] ..وبذلك تتوضَّح لنا العناية والاهتمام، وهي علةُ التقديم والتأخير، كما جاء في دلائل الاعجاز، ولكننا سننظر إلى المثال السابق والأمثلة الأخرى التي أوردها عبد القاهر على التقديم والتأخير من خلال أن التقديم والتأخير أحد عناصر النظرية التحويلية لتشومسكي ،فإذا عدنا إلى المثال الأول:(قتل الخارجيَّ زيدٌ) فإننا نعود إلى أصل هذه الجملة وهو (قتل زيدٌ الخارجيَ)، وهي جملة تحويلية فعلية طرأ عليها عنصر التحويل وهو تقديم المفعول (الخارجي) على الفاعل (زيد) فأصبحت بالصورة الأخيرة، أمَّا المثال الآخر وهو (قتل زيدٌ رجلا) ففي هذا المثال فإنها جملة توليدية فعلية فقد جاء: الفعل + الفاعل + المفعول، وبذلك فقد جاء هذا المثال على الأصل بدون تقديم؛ لأن أهمية الإخبار تدور حول الفاعل٠

وأورد الجرجاني أمثلة على التقديم والتأخير في الاستفهام،حيث يقدم الفعل أو الاسم بعد الهمزة ومثاله في قولنا: أفعلت٠ أأنت فعلت٠ فهناك فرق بين الجملتين، فالجملة الاولى حينما يقدم الفعل فإنَّ الشك هو في الفعل،أما الثانية فإنَّ الشك يكون في الفاعل، ومن أمثلة ذلك التي أوردها الجرجاني أنك تقول:(أبنيت الدار التي كنت تريدها؟)(أقلت الشعر الذي كان في نفسك ان تقوله؟)(أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟) تبدأ في هذا ونحوه بالفعل؛لأنَّ السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه، لأنك في جميع ذلك متردد في وجود الفعل وانتفائه، مجوز أن يكون قد كان وأن يكون لم يكن وتقول:أأنت بنيت هذه الدار؟أأنت قلت هذا الشعر؟أأنت كتبت هذا الكتاب؟

فتبدأ ذلك كله بالاسم، وذلك لأنك لاتشك في الفعل وانما شككت في الفاعل من هو)[2] ثم ينتقل الى بيان قوله تعالى حكاية عن نمرود **﴿أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾**[3] لاشبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام، وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان، ولكن أن يقر بأن منه كان، وقد أشاروا الى الفعل في قولهم: (أأنت فعلتَ هذا)، وقال هو عليه السلام في

---

[1] المرجع السابق (ص٩٧).
[2] الجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص١٠٠).
[3] سورة الأنبياء، الآية (٦٢).

الجواب:(بل فعله كبيرهم هذا) ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت أو لم أفعل، فإذا سأل سائل أوليس إذا قال (أفعلت) فهو يريد ان يقرره بأن الفعل كان منه ؟ فأي فرق بين الحالين ؟ فيجيب عبد القاهر على هذا السؤال بقوله:"فإنه اذا قال:(أفعلت) فهو يقرره بالفعل من غير أن يردده بينه وبين غيره، وكان كلامه كلام من يوهم أنه لايدري أن ذلك الفعل كان على الحقيقة. وإذا قال :(أأنت فعلت ؟) كان قد ردد الفعل بينه وبين غيره ولم يكن منه في نفس الفعل تردد، ولم يكن كلامه كلام من يوهم أنه لايدري أكان الفعل أم لم يكن، بدلالة أنك تقول ذلك، والفعل ظاهر موجود مشار إليه كما رأيت في الآية، واعلم أن الهمزة فيما ذكرنا تقرير بفعل قد كان وإنكار له لمَ كان وتوبيخ لفاعله عليه"[1].

ويمكن لنا أن ننظر إلى الأمثلة السابقة التي أوردها عبد القاهر من خلال النظرية التحويلية وعناصرها فإذا عدنا

إلى الأمثلة :أفعلت ؟ أأنت فعلت ؟ وهو تقديم الاسم أو الفعل في الاستفهام والفعل ماض، وقد بيَّن عبد القاهر أنَّ التقديم يكون حسب المعنى، فإذا كان الشَّكُّ في الفاعل يُقدَّمُ الاسم، واذا كان الشك في الفعل يُقدَّمُ الفعل، ولكننا سننظر إلى هذه الأمثلة من خلال عناصر التحويل في النظرية التحويلية ففي جملة:(أفعلت)، نلاحظ أن الجملة (فعلت) هي جملة توليدية فعلية طرأ عليها عنصر تحويل بزيادة الهمزة فأصبحت الجملة: أفعلت. أمَّا جملة (أأنت فعلت): فنلاحظ أن الجملة الأصل هي (فعلت)، ثم حصل عنصر تحويل بتقديم الفاعل، فأصبحت الجملة (أأنت فعلت)، والملاحظ أن الضمير (أنت) هو الفاعل للفعل بعدها؛ حسب رأي اهل الكوفة.

ثم طرأ على هذه الجملة عنصر تحويل آخر، وهو عنصر الزيادة بالهمزة، فأصبحت الجملة (أأنت فعلت)، ولعلّ هذا ينطبق على الأمثلة الأخرى التي أوردها الجرجاني، وهي:

١-أبنيت الدار التي كنت تريدها؟٢-أقلت الشعر الذي كان في نفسك؟٣-أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟

فما عناصر التحويل حسب النظرية التحويلية لتشومسكي فإنَّ أصل هذه الجمل هو الجملة الفعلية وهي: بنيت الدار التي كنت تريدها - قلت الشعر الذي كان في نفسك - فرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه، ثم طرأ على هذه الجمل الفعلية عنصر تحويل بزيادة الهمزة، فأصبحت الجمل كالآتي:

---

[1] الجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص١٠١).

١-أبنيت الدار التي كنت تريدها؟٢-أقلت الشعر الذي كان في نفسك؟

٣-أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟

أمَّا بالنسبة إلى الجمل التي يتقدم فيها الاسم في الاستفهام، وأين تكمن عناصر التحويل فيها، وهذه الجمل هي: ١-أأنت بنيت الدار؟

٢-أأنت قلت الشعر ؟ ٣-أأنت فرغت من الكتاب ؟

حيث نلاحظ في هذه الجمل عنصرين من عناصر التحويل حسب النظرية التحويلية، وذلك أن الأصل في هذه الجمل هو: ١-بنيت الدار ٢- قلت الشعر ٣- فرغت من الكتاب.

وهي عبارة عن جمل توليدية فعلية، ثم طرأ على هذه الجمل عنصر تحويل، وذلك بتقديم الفاعل، فأصبحت الجمل كالآتي:١- أنت بنيت الدار

٢- أنت قلت الشعر ٣- أنت فرغت من الكتاب.

ثم طرأ على هذه الجمل عنصر تحويل آخر بزيادة الهمزة، فأصبحت الجمل جمل تحويلية تحتوي على عنصري تحويل؛ وهما التقديم والزيادة، فأصبحت على النحو الآتي:

١- أأنت بنيت الدار ؟ ٢- أأنت قلت الشعر ؟ ٣- أأنت فرغت من الكتاب ؟

ثم ينتقل الجرجاني إلى بيان أن الهمزة تخرج إلى معان أخرى؛ وهي الاستفهام الإنكاري، حيث وضَّح ذلك بقوله:"ولها مذهب آخر، وهو أن يكون لإنكار أن يكون الفعل قد كان من أصله، ومثاله قوله تعالى: **﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾**[1]، وقوله ﷻ : **﴿أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون ﴾**[2]، فهذا ردٌّ على المشركين وتكذيب لهم في قولهم ما يؤدي الى هذا الجهل العظيم، وإذا قُدم الاسم في هذا صار الإنكار في الفاعل، ومثاله قولك للرجل انتحلَ شعرًا: أأنتَ قُلتَ هذا

الشعر؟ كذبتَ لستَ مِمَّنْ يُحسنُ مثله) أنكرت أن يكون القائل ولم تنكر الشعر"[3].

ومن الأمثلة السابقة على الاستفهام الإنكاري لابُدَّ لنا أن نُبيِّن عناصر النظرية التحويلية فيها، ففي قوله تعالى:(أفاصفاكم ربكم بالبنين) عنصر التحويل

---

[1] سورة الإسراء، الآية (٤٠).
[2] سورة الصافات، الآيتان(١٥٣، ١٥٤).
[3] الجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص١٠١).

هو همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (أصفى) حيث إنَّها جملة توليدية فعلية، ولكن بعد دخول همزة الاستفهام عليها وهو عنصر تحويل بالزيادة ومجيء الفاء بعدها، فأصبحت الجملة بشكلها النهائي جملة تحويلية (أفاصفاكم ربكم بالبنين)، وهي إنكار وتكذيب لكلام المشركين، أمَّا عند تقديم الاسم بعد همزة الاستفهام ومثاله (أأنت قلت هذا الشعر؟) حيث إنَّنا اذا عدنا الى أصل الجملة، وهي الجملة التوليدية الفعلية (قلت)، ثم قُدِّم الفاعل على الفعل فأصبحت (أنت قلت) فهذا عنصر تحويل بالتقديم، ثم جاء عنصر التحويل الآخر بزيادة الهمزة، فأصبحت جملة تحويلية تحتوي على عنصري تحويل هما التقديم والزيادة، فأصبحت بشكلها النهائي(أأنت قلت هذا الشعر؟) وهي تعني إنكار للمخاطب وتكذيبه بأنه لايستطيع وليس له القدرة على قول مثل هذا الشعر٠

ثم يتابع عبد القاهر لكي يفرق لنا هذه المرة بين تقديم الاسم وتقديم الفعل والفعل مضارع، حيث يأتي لنا بأمثلة كثيرة على ذلك من الشعر والآيات الكريمة، حيث يقول:"وإذ قد بيَّنا الفرق بين تقديم الفعل وتقديم الاسم والفعل ماضٍ، فينبغي أن ينظر فيه والفعل مضارع، والقول في ذلك أنك إذا قلت: أتفعل)، و(أأنت تفعل؟) لم يخلُ من أن تريد الحال أو الاستقبال، فإن أردت الحال كان المعنى شبيها بما مضى في الماضي، فإذا قُلتَ: (أتفعل؟) كان المعنى على أنك أردت أن تُقرِّره بفعل هو يفعله، وكنت كمَنْ يوهم لايعلم بالحقيقة أن الفعل كائن، وإذا قلت:(أأنت تفعل؟) كان المعنى على أنك تريد أن تقرره بأنه الفاعل،وكان أمر الفعل في وجوده ظاهرًا، وبحيث لايحتاج إلى الإقرار بأنه كائن، وإن أردت بـ(تفعل) المستقبل كان المعني اذا بدأت بالفعل على أنك تعمد بالإنكار إلى الفعل نفسه، وتزعم أنه لايكون أو أنه لاينبغي أن يكون فمثاله [1]:

أَيَقْتُلُنِـــي والمَشْـــرَفِيَّ مُضَـــاجِعِي ... ومَسْـــنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيـــابِ أغْـــوَالِ

فهذا تكذيبٌ لإنسان تهدده بالقتل وإنكار أن يقدر على ذلك ويستطيعه٠ ومثال آخر أن يطمع طامعٌ في أمر، ولكنك تُبيِّن أن هذا الأمر هو بعيد المنال فتقول:(أيرضى عنك فلان وأنت تعمل ما يكره؟)، (أتجد عنده ماتحب وقد فعلت وصنعت)، ومثاله قوله تعالى:**﴿أ نلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾**[2] ومثاله الثاني قولك للرجل يركب الخطر: (أتخرج في هذا الوقت؟)، (أتذهب في غير

---

[1] البيت لامريء القيس،من الطويل.ينظر:المبرد، "الكامل"(٧٣/٣)، والقزويني،"الإيضاح في علوم البلاغة"،(١٣٨/١)، وابن مالك،"شرح التسهيل"،(٣٦٢/٢)،وابن منظور،"لسان العرب"(٢٣٧/١٣)،والجرجاني،"دلائل الاعجاز" (ص١٠٣).

[2] سورة هود ، الآية (٢٨).

الطريق؟) (أ تقرر بنفسك؟)، وقولك للرجل:(أتنسى قديم احسان فلان؟) (أتترك صحبته بسبب تغير الزمان)، كما قال الشاعر [1]:

أأتــركُ إن قلّــت دَراهــمُ خالــدٍ ... زيارَتـــــه إنـــــي إذاً للئِـــــيمُ

أنك تنحو بالانكار نحو الفعل، فإن بدأت بالاسم فقلت:(أأنت تفعل؟) أو قلت:(أهو يفعل؟) كنت وجهت الإنكار إلى نفس المذكور وأبيت أن تكون بموضع أن يجيء منه الفعل"[2].

وإذا عدنا إلى الأمثلة السابقة التي أوردها عبد القاهر في تقديم الفعل المضارع بعد الاستفهام لنبين عناصر التحويل حسب النظرية التحويلية ففي قولنا: (أتفعل؟) و(أأنت تفعل؟) رأينا في المثال الأول أن جملة (تفعل) جملة توليدية، فعلية طرأ عليها عنصر تحويل بزيادة الهمزة فأصبحت (أتفعل)٠ وهذه الجملة يكون فيها الإنكار مُوجَّهًا نحو الفعل ذاته، أمَّا جملة (أأنت تفعل؟) فهي توليدية فعلية فيها عنصرا تحويل؛ الأول: تقديم الفاعل فأصبحت (أنت تفعل)، والعنصر الثاني: هو زيادة الهمزة فاصبحت – أأنت تفعل - وفي مثل هذه الجمل يكون الإنكار مُوجَّهًا نحو الفاعل،وإذا عدنا إلى بيت امرىء القيس (أيقتلني) نُلاحظُ أنَّ جملة(يقتلني) جملة توليدية فعلية تحتوي على عنصر تحويل، وهو عنصر الزيادة بالهمزة فأصبحت (أيقتلني؟)، والمقصود هو إنكار للفعل وتكذيب له، ولعلَّ ما جاء بعدها بالعطف وهي قوله (والمشرفي مضاجعي") إلى نهاية البيت يُؤكِّدُ هذا الأمر، ولعل عنصر التحويل بالزيادة، وهي همزة الاستفهام على الجملة الفعلية ينطبق على الأمثلة الأخرى؛ كقوله تعالى: **﴿أ نلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾**[3]، فالجملة التوليدية الفعلية هي (نلزمكموها) طرأ عليها عنصر تحويل بزيادة الهمزة، وهي إنكارٌ للفعل ذاته، ولعلَّ ذلك ينطبق على الأمثلة التي أوردها عبد القاهر ، وهي قولك للرجل يركب الخطر:

١- أتخرج في هذا الوقت ؟ ٢– أتذهب في غير الطريق ؟

٣- أ تقرر بنفسك ؟

---

[1] البيت لعمارة بن عقيل، وهو من الطويل.ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج،"الأغاني"، تحقيق: سمير رجب، دار الفكر، بيروت، ط٢،(٢١٢/٢٤)، والمبرد،"الكامل في اللغة والأدب"(٢٤٨/١)، والقزويني، جلال الدين، "الإيضاح في علوم البلاغة"،(١٣٨/١)، والجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص١٠٣).

[2] ينظر : الجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص١٠٣).

[3] سورة هود، الآية (٢٨).

حيثُ نلاحظ أن الجمل السابقة توليدية فعلية طرأ عليها عنصر تحويل بزيادة الهمزة، فأصبحت جمل تحويلية، ففي الجملة الأولى (أتخرج) إنكار للفعل، وهو الخروج في وقت معين، وفي الجملة الثانية (أتذهب) هو إنكار للذهاب في طريق معين، وكذا الجملة الثالثة إنكار للفعل، وهو (التقرير) على القيام بعمل معين. أمَّا قول الشاعر (أأترك) فنلاحظ أنها جملة توليدية فعلية، وهي جملة (أترك) ثم طرأ عليها عنصر تحويل بزيادة الهمزة، فأصبحت (أأترك)، وهو إنكار وتكذيب للفعل؛ أي: أنَّ الشاعر لايترك زيارة صاحبه وصديقه حسب تغير الزمان إن كان له أو عليه هذا فيما يخصُّ تقديم الفعل بعد الهمزة والفعل مضارع أما تقديم الاسم بعد الهمزة والفعل مضارع فقد تناوله عبد القاهر بأمثلة عديدة ومثاله:(أأنت تفعل؟) ففي مثل هذه الجملة نلاحظ عنصري تحويل هما تقديم الاسم والعنصر الثاني هو زيادة الهمزة وهذا بحسب النظرية التحويلية وعناصرها، ولكن لابُدَّ لنا في البداية من النظر إلى الأمثلة التي أوردها عبد القاهر، حيث يرى أن الجمل التي يُقدَّم فيها الاسم بعد الاستفهام؛ إنما يكون الإنكار مُوجَّهًا إلى الفاعل بقوله:"وجملة الأمر أن تقديم الاسم يقتضي أنك عمدت بالإنكار إلى ذات من قيل أنه يفعل أو قال هو:(أني أفعل)، وأردت ما تريده إذا قلت (ليس هو بالذي يفعل وليس مثله يفعل)"[1].

ومِمَّا أورده الجرجاني مثالًا على ذلك قوله تعالى: ﴿**أفأنت تسمع الصم أو تهدي العُمي**﴾[2] ليس إسماع الصُّمِّ؛ مِمَّا يدَّعيه أحدٌ، فيكون ذلك للإنكار، وإنَّما المعنى التمثيل والتشبيه، وأن ينزل الذي يظن بهم أنهم يسمعون أو أنه لايستطيع سماعهم منزلة مَنْ يرى أنه يسمع الصُّمَّ ويهدي العمي٠ وكذلك قول ابن أبي عيينة[3]:

فَدَعِ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِي ... أطَنِينُ أَجْنِحَةِ الذُّبَابِ يَضِيرُ؟

جعل كأنه قد ظنَّ أنَّ طنين أجنحة الذباب بمثابة ما يضير، حتى ظنَّ أنَّ وعيده يضير"[4]، وإذا عدنا إلى المثالين السابقين حول تقديم الفاعل، ومن خلال النظرية التحويلية وعناصرها لاحظنا في المثال الأول؛ وهو قوله تعالى:﴿**أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي**﴾، نلاحظ عنصري تحويل هما عنصر تقديم الفاعل والعنصر الثاني زيادة الهمزة، وفي الآية الكريمة أمرٌ يختلف عن الإنكار، وذلك

---

[1] الجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص١٠١).
[2] سورة الزخرف، الآية (٤٠).
[3] البيت من الكامل.ينظر: المبرد،"الكامل"(٢٨/٢)، والقزويني، "الإيضاح "،(٣٦٢/١)، والجرجاني،"دلائل الاعجاز"(ص١٠٦).
[4] الجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص١٠٦).

لا أحد يدَّعي أنه يُسمع الصُّمَّ أو يهدي العُمي، إنَّما هي بيان أنَّ بعض المشركين لافائدة تُرتجى مِنْ نُصحهم وإرشادهم؛ كالصُّمِّ الذين لايسمعون الكلام، والعُمي الذين لايرون الحقائق والبراهين٠ أمَّا بالنسبة إلى قول الشاعر:(أطنين أجنحة الذباب يضير) ففي هذا البيت عنصرا تحويل؛ وهما عنصر تقديم الفاعل، حيث إنَّ أصل الجملة (يضير طنين الذباب)، والعنصر الثاني هو عنصر زيادة الهمزة، وهنا الإنكار مُوجَّهًا نحو الفاعل الْمُقدَّم (حسب المدرسة الكوفية)، وهي هنا تمثيل وتشبيه، فإنَّ وعيدك لايضير كما أنَّ طنين أجنحة الذباب لايضيرُ٠

ثُمَّ أورد عبد القاهر أمثلة لتقديم المفعول به بعد الهمزة والفعل مضارع، حيث يقول :"واعلم أنَّ حال المفعول فيما ذكرنا كحال الفاعل؛ أعني تقديم الاسم المفعول يقتضي أن يكون الإنكار في طريق الإحالة والمنع مِنْ أن يكون بمثابة أن يُوقع به مثل ذلك الفعل، فإذا قلت:(أزيداً تضرب؟) كنت قد أنكرت أنْ يكون (زيد) بمثابة أن يُضرب أو بموضع أن يُجترأ عليه، ومن أجل ذلك قُدِّمَ (غير) في قوله تعالى:**﴿قل أغير الله أتخذ وليا ﴾**[1]، وقوله ﷻ **:﴿أغير الله تدعون﴾**[2]، وكان له من الحسن والمزية والفخامة ما تعلم أنه لا يكون لو أُخِّر فقيل: أأتخذ غير الله وليا) و(أتدعون غيرَ الله ؟) وذلك لأنَّه حصل بالتقديم معنى قولك:(أيكون غير الله ان يُتخذ وليًا؟) و(أيرضى عاقل من نفسه أن يفعل ذلك)"[3] ، فالملاحظ في الأمثلة التي أوردها عبد القاهر في تقديم المفعول به أنَّ الإنكار يكون في الاسم، ونلاحظ عناصر التحويل؛ وهي كالآتي : ففي المثال:(أزيدًا تضرب)٠ نلاحظ أن هذه الجملة تحتوي على عنصري تحويل، وهما التقديم وزيادة الهمزة، حيث إن أصل الجملة (تضرب زيدًا) جملة توليدية فعلية طرأ عليها عنصر تحويل بالتقديم، فأصبحت (زيدًا تضرب) ثم طرأ عليها عنصر تحويل آخر بزيادة الهمزة، فأصبحت (أزيدًا تضرب)، وهي إنكار أن يضرب شخص مثل (زيد)، وكذلك في قوله تعالى:**﴿أغير الله أتخذ وليًا﴾**، وقوله ﷻ **﴿أغير الله تدعون﴾** ، وفي الآيتين الكريمتين ما سبق أن وضَّحناه في المثال السابق، ففي الآية الأولى تقديم – غير- وهو مفعول به، وهذا عنصر التحويل الأول، والعنصر الثاني زيادة الهمزة، والمقصود من الآية الكريمة إنكار لأي شخص يتَّخذ غير الله وليًّا، ولا يُوجدُ إنسانٌ عاقلٌ يتَّخذُ غير الله وليًّا، وكذلك الأمر في الآية الكريمة **﴿أغير الله تدعون ﴾**،كذلك نلاحظ عنصري تحويل هما تقديم (غير) وزيادة الهمزة ، وهو إنكارٌ لأيِّ شخصٍ يتوجَّهُ بالدُّعاء لغير الله، ولا يُوجدُ انسان عاقل يتوجه بالدعاء لغير الله٠ ثم يأتي عبد القاهر

---

[1] سورة الأنعام، الآية (١٤).
[2] سورة الانعام ، الآية (٤٠).
[3] الجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص١٠٦).

على النوع الآخر، وهو أن يكون"يفعل لفعل موجود، فإنَّ تقديم الاسم يقتضي شبهًا بما اقتضاه في الماضي من الأخذ بأن يقرَّ أنَّه الفاعل أو الإنكار أن يكون الفاعل، فمثاله الأول قولك للرجل يبغي ويظلم :(أأنت تجيء إلى الضعيف فتغصب ماله؟) وعلى ذلك قوله تعالى:**﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾**[1]، ومثاله الثاني:**﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾** [2].ولاتخفى في الأمثلة السابقة عناصر التحويل، ففي قولك (أأنت تجيء الى الضعيف فتغصب ماله)، فهذه الجملة بمعنى الإقرار أن يكون الفاعل، وهي تحتوي على عنصري تحويل، وهما تقديم الاسم (أنت)، وعنصر التحويل الآخر هو زيادة الهمزة، والمقصود منه الإقرار أن يكون الفاعل، وكذلك في الآية الكريمة **﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾** تحتوي كذلك على عنصري تحويل، وهما تقديم الفاعل (أنت) وزيادة الهمزة، ومجيء الفاء بعد الهمزة، فأصبحت الجملة بشكلها النهائي والمقصود الإقرار. أمَّا المثال الآخر ويقصد به الإنكار في قوله تعالى :**﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾** ، فإنه يحتوي على عنصري تحويل؛ وهما تقديم الاسم (هم)،وزيادة الهمزة، والمقصود إنكار على المشركين والحاسدين بأنهم لايقسمون رحمة الله، وأنَّ الله سبحانه يرحم مَنْ يشاء من عباده.

وقد تحدَّث عبد القاهر عن أنواع مختلفة من التقديم والتأخير، حيثُ عقد فصلًا في التقديم والتأخير في النفي، وبين الفرق بين جملتين: إذا قلت: (مافعلت) كنت نفيت عنك فعلًا لم يثبت أنه مفعول. وإذا قلت: (ما أنا فعلت) كنت نفيت عنك فعلًا ثبت أنه مفعول. وتفسير أنك إذا قلت (ماضربتُ زيدا) كنت نفيت عنك ضربة ولم يجب أن يكون قد ضُرب، بل يجوز أن يكون قد ضربه غيرك وأن لا يكون قد ضُرب أصلًا، وإذا قلت (ما أنا ضربت زيدًا) لم تقله إلا وزيدٌ مضروب، وكان القصد أن تنفي أن تكون أنت الضارب[3]، وعند إلقاء نظرة على المثالين السابقين حسب النظرية التحويلية وعناصرها يتَّضح أن جملة (ماضربتُ زيداً) توليدية فعلية، وهي (ضربتُ زيدًا)، ثم جاء عنصر تحويل بزيادة (ما) النافية والقصد من الكلام هو نفي الفعل عنك. أمَّا بالنسبة لزيد فقد يكون قد ضُرب مِنْ غيرك، وقد يكون لم يُضرب أصلًا، أمَّا في المثال الثاني (ما أنا ضربت زيدًا)، فهذه الجملة هي جملة توليدية فعلية (ضربتُ زيدًا) ثم طرأ على هذه الجملة عنصر تحويل بتقديم الفاعل أانا ضربتُ زيدًا) ثم طرأ عليها عنصر تحويل آخر بزيادة (ما) النافية، فأصبحت (ما أنا ضربتُ زيدًا)،

---

[1] سورة يونس، الآية (٩٩).
[2] سورة الزخرف، الآية (٣٢)، وينظر: دلائل الاعجاز (ص١٠٧).
[3] دلائل الاعجاز (ص١٠٨).

والمقصود من هذه الجملة أنك تنفي أنك ضربتَ زيدًا، ولكن في هذه الجملة يصبح من المؤكد أنَّ زيدًا قد ضُرِبَ.

كما تحدَّث عبد القاهر عن التقديم والتأخير في الخبر المثبت، وبيَّن فكرته في التقديم بقوله :"فإذا عمدت إلى الذي أردت تحدَّث عنه بفعل، فقدَّمت ذكره، ثم بنيت الفعل عليه، فقلت (زيدٌ قد فعل) و(أنا فعلت) و(أنت فعلت)، ثم اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل، إلا أنَّ المعنى في هذا القصد ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: جلي لايشكل، وهو أن يكون الفعل فعلًا أردت أن تنصَّ فيه على واحد فتجعله له، وتزعم أنه فاعله دون واحد آخر أو دون كل أحد- ومثال ذلك أن تقول (أنا كتبت في معنى فلان) ،(وأنا شفعت في بابه)؛ تريد أن تدَّعي الانفراد بذلك والاستبداد به، وترد على مَنْ زعم أن ذلك كان مِنْ غيرك أو أن غيرك قد كتب فيه، ومن البين في ذلك قولهم في المثل :(**أتعلمني بضبٍ أنا حرشته**).[1]

القسم الثاني: أن لايكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى (أي: معنى التخصيص)، ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل وتمنعه من الشَّكِّ، فأنت لذلك تبدأ بذكره، وتُوقعه أولًا من قبل أن تذكر الفعل نفسه، ومثاله قولك: (هو يعطي الجزيل، ويحب الثناء)، وتريد هاهنا أن تزعم أن ليس هناك مَنْ يعطي الجزيل ويحب الثناء غيره، ولكنك تريد أن تحقق على السامع أن إعطاء الجزيل وحب الثناء دأبه، وأن ذلك تمكَّن في نفسه، ومثاله في الشعر[2]:

هُمُ يُفْرِشُونَ اللِّبدَ كُلَّ طِمِرَّةٍ ... وأجْرَدَ سبَّاح يَبُذُّ الْمُغالِيا

لم يُرِدْ أن يدَّعي لهم هذه الصفة دعوى مَنْ يُفردهم بها وينصُّ عليهم فيها، حتى كأنه يُعرِّضُ بقوم آخرين فينفي أن يكونوا أصحابها، وإنَّما أراد أن يصفهم بأنهم فرسان يمتهدون صهوات الخيل، وأنَّهم يقتعدون الجياد منها. كما أنَّه يضرب لنا مثلاً آخر على تقديم الاسم للتوكيد والتحقيق، وهو قول الشاعر[3]:

---

[1] ينظر هذا المثل في: القزويني، "الإيضاح"،(٥٨/١)، و"دلائل الاعجاز"(ص١١٠)، وابن منظور،"لسان العرب" (٢٧٩/٦).

[2] البيت من الطويل،ونسب للمعذل الليثي. ينظر:القزويني، "الإيضاح"،(٦٠/١، ٦٩)، والجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص١١١).

[3] البيت منسوب للأخنس بن شهاب التغلبي، وهو من الطويل. ينظر: الأصفهاني،"الأغاني"(٢٥٣/١٦)، والقزويني، جلال الدين،"الإيضاح في علوم البلاغة"،(٦٠/١، ٦٩)، والجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص١١١).

هُمُ يَضْربونَ الكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ ... عَلى وَجْهِهِ مِنَ الدماءِ سَبائِبُ

ففي هذا البيت لم يدَّعِ لهم هذا الانفراد في الضرب والشجاعة، وإنَّما أراد التوكيد والتحقُّبق على هذه الصفة لهم ، كما يأتي بمثل آخر، وهو قول الشاعر [1]:

هُمَا يَلْبَسانِ المَجْدَ أحْسَنَ لِبْسَةٍ ... شَحيحانِ ما اسْطاعا عَلَيْهِ كِلاهُما [2]

لاشكَّ في أنَّه لم يُردْ أن يقصر هذه الصفة عليهما، ولكن نبَّه لهما قبل الحديث عنهما؟ وقد ضرب مثلاً من القرآن الكريم لغرض التوكيد والتحقيق؛ وهو قوله تعالى:﴿ **وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ** ﴾[3]، وقوله ﷻ: ﴿ **واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به** ﴾[4] فالملاحظ في قوله تعالى (هم يُخلقون) أن القصد هو التأكيد أن الآلهة التي يعبدونها تُخلق وتُصنع، وهي عاجزةٌ عن عمل شيء، وكذلك قوله ﷻ :(وهم قد خرجوا به) تدلُّ على التوكيد في تقديم الضمير دلالة على أنَّهم خرجوا بالكفر، وهم أساسه، ولكنهم يقولون كلامًا يُخالف فعلهم عندما يقولون آمنا ٠

وإذا عُدنا إلى الأمثلة السابقة لكي نبيِّن أحد عناصر النظرية التحويلة؛ وهو التقديم، ففي كلا الحالتين ؛ أي: تقديم الاسم لغرض التخصيص أو تقديمه لغرض التحقيق والتوكيد، وذلك حسب تقسيم الجرجاني؛ اعتمادًا على المعنى ، يمكن أن ننظر إلى الأمثلة كالآتي:

ففي المثل (أتعلمني بضبٍ أنا حرشته) نلاحظ في هذه الجملة؛ وهي جملة (حرش)؛ أي: (اصطاد) هي جملة توليدية فعلية طرأ عليها عنصر تحويل؛ هو تقديم الفاعل، فأصبحت (أنا حرشته)، والمقصود التخصيص؛ أي: أنا اصطدته وليس أحد غيري، وهو يضرب للعالم بالشيء يقول لـمَنْ يريد تعليمه، أمَّا الأمثلة التي ضربها عبد القاهر للتحقيق والتوكيد نرى أن قول الشاعر:(هم يفرشون اللبد)

حيث إنَّ الأصل (يفرشون اللبد) جملة توليدية فعلية، ثم طرأ عليها عنصر تحويل بتقديم الفاعل فأصبحت (هم يفرشون اللبد) جملة تحويلية ذات عنصر تحويل واحد، وهو التقديم، والقصد من الكلام التأكيد على أن ممدوحيه أكثر

---

[1] البيت منسوب لعمرة الخثعمية، وهو من الطويل. ينظر: القزويني، جلال الدين، "الإيضاح في علوم البلاغة"،(٦٠/١، ٦٩)، والجرجاني، "دلائل الاعجاز"(ص١١٢).
[2] ينظر : دلائل الاعجاز (ص١١٢).
[3] سورة الفرقان، الآية (٣).
[4] سورة المائدة، الآية (٦١).

جلوسهم فوق صهوات خيولهم؛ أي: أنَّهم فرسان وشجعان وهذا ديدنهم وصفتهم، وتأكيد هذه الصفة لدى السامع، وكذلك قول الشاعر: (هما يلبسان المجد)، حيث نلاحظ الجملة التوليدية الفعلية (يلبسان المجد)، ثم طرأ عليها عنصر تحويل بتقديم الفاعل فأصبحت (هما يلبسان) جملة تحويلية تحتوي على عنصر تحويل، وهو التقديم، والمقصود أن ممدوحي الشاعر أهل شرف ومجدٍ، ويريد تأكيد هذه الصفة عندهم وليس قصرها عليهم ٠

أمَّا الآيات الكريمة فهي من الأمثلة الدالة على تقديم الاسم للتوكيد أيضًا، وهي قوله تعالى :**﴿وهم يُخلقون﴾**، حيث إن أصل الجملة هي (يُخلقون) جملة تحويلية فعلية، ثم قدَّم الاسم فأصبحت (هم يُخلقون) جملة تحويلية تحتوي على عنصر تحويل، وهو التقديم، وهي تأكيد أنَّ الآلهة التي يعبدونها لاتصنع ولا تخلق شيئًا وإنَّما يخلقها الآخرون، وكذلك الآية الكريمة **﴿وهم قد خرجوا به﴾** حيث إنَّ أصل الجملة (خرجوا) جملة توليدية فعلية، ثم طرأ عليها عنصر تحويل بالتقديم، فأصبحت (وهم خرجوا)، ثم فصل بقد، فأصبحت جملة تحويلية تحتوي على عنصر تحويل بالتقديم، فأصبحت (وهم قد خرجوا)، وهي تعني تأكيد خروجهم بالكفر وابتعادهم عن الإيمان، ولذلك حين يقولون بالإيمان فهم غير صادقين٠

كما تحدث عبد القاهر عن سرِّ التأكيد في تقديم الاسم، ويُعلل ذلك بقوله :" وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتةً مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه، والتقدمة له، لأنَّ ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام، في التأكيد والإحكام، ومن ههنا قالوا: إنَّ الشيء إذا أضمر ثم فسر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدم إضمار٠ ويدلُّ على صحة ما قالوه أنَّا نعلم ضرورة في قوله تعالى:**﴿فإنها لاتعمى الابصار﴾**[١]، فخامة وشرف وروعة لا نجد منها شيئًا في قولنا:"فإنَّ الأبصار لا تعمى"، وكذلك في قوله تعالى:**﴿إنه لايفلح الكافرون﴾**[٢]، يفيد من القوة نفي الفلاح عن الكافرين، ما لو قيل: إنَّ الكافرين لايفلحون"[٣] ، ولايخفى عنصر التقديم، وهو أحد عناصر النظرية التحويلية، ففي قوله تعالى: **﴿فإنها لاتعمى الأبصار﴾**[٤] ، فإن الأصل فيها هي الجملة التوليدية الفعلية (تعمى الأبصار)، ثم جاء عنصر الزيادة بالنفي، فأصبحت (لا تعمى الأبصار)، ثم طرأ على هذه الجملة عنصر تحويل آخر، وهو تقديم الضمير، فأصبحت "فإنَّها لا

---

[١] سورة الحج، الآية (٤٦).
[٢] سورة القصص، الآية (٨٢).
[٣] دلائل الاعجاز (ص١١٣).
[٤] سورة الحج، الآية (٤٦).

تعمى الأبصار" جملة تحويلية تحتوي على عنصرين من عناصر التحويل، كما أنَّ التقديم يكون لغرض توكيد هذا الأمر، وهو يعطي للجملة فخامة وروعة كما بيَّن عبد القاهر، أمَّا الآية الكريمة الأخرى "إنه لايفلح الكافرون" حيث إنَّ أصل هذه الجملة هي الجملة التوليدية الفعلية (يفلح الكافرون) طرأ عليها عنصر تحويل بزيادة (لا)، فأصبحت (لايفلح الكافرون)، ثم طرأ على الجملة عنصر تحويل آخر، وهو تقديم الضمير بعد (أنَّ)، فأصبحت (إنه لايفلح الكافرون)، وهي جملة تحويلية تحتوي على عنصري تحويل؛ وهما الزيادة والتقديم، والغرض منها هو التأكيد والتحقيق على السامع هذا المعنى، وهو عدم فلاح الكافرين، كما أنَّ التقديم يعطي من الفخامة والروعة مالايعطيه فيما لو تأخر.

كما ذكر عبد القاهر أنَّ هناك أنواعًا للتقديم لغرض التوكيد والتحقيق، هي[1]:

١- يجيء فيما سبق فيه إنكار من منكر؛ نحو قوله تعالى: ﴿**ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**﴾[2] ، فهذا من أبين شيء، وذاك أنَّ الكاذب ولاسيما في الدين لايعترف بأنه كاذبٌ، وإذا لم يعترف بأنه كاذبٌ كان أبعد من ذلك أن يعترف بالعلم بأنه كاذب.

٢- أو يجيء فيما أعترض فيه شكٌّ؛ نحو أن يقول الرجل:(كأنك لاتعلم ما صنع فلان ولم يبلغك) فيقول: (أنا أعلم ولكني أُداريه).

٣- أو في تكذيب مدعٍ كقوله ﷻ :﴿**وإذاجاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به** ﴾[3]، وذلك أن قولهم آمنا دعوى منهم أنَّهم لم يخرجوا كما دخلوا به، فالموضع موضع تكذيب.

٤- أو فيما القياس في مثله لا يكون كقوله تعالى :﴿**واتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيئا وهم يُخلقون**﴾[4]، وذلك أنَّ عبادتهم لها تقتضي أن لا تكون مخلوقة.

٥- وكذلك في كُلِّ شيء كان خبرًا على خلاف العادة، وعما يُستغرب من الأمر نحو أن تقول:(ألا تعجب من فلان يدَّعي العظيم، وهو يعي باليسير، ويزعم أنه شجاع، وهو يفزع من أدنى شيء).

---

[1] دلائل الاعجاز (ص١١٣).
[2] سورة آل عمران، الآية (٧٥).
[3] سورة المائدة، الآية (٦١).
[4] سورة الفرقان، الآية (٣).

٦- ومما يحسن ذلك فيه ويكثر:الوعد والضمان، كقول الرجل:(أنا أعطيك، أنا أكفيك).

٧- وكذلك يكثر في المدح كقولك:(أنت تعطي الجزيل)،(أنت تَقري في المحل) (أنت تجود حين لايجود أحد) ، وذلك أن من شأن المادح أن يمنع السامعين من الشكِّ فيما يمدح به، ويباعدهم من الشبهة وكذلك المفتخر.

كما بيّن عبد القاهر في هذا الإطار التقديم بعد واو الحال مُفرقًا بين جملتين بقوله:"أ فلا ترى أنك إذا استبطأت إنسانًا فقلت:(أتانا وقد طلعت الشمس)، وعكس هذا أنك إذا قلت:(أتى والشمس لم تطلع)، كان أقوى في وصفك له بالعجلة، والمجيء قبل الوقت الذي ظنَّ أنه يجيء فيه من أن تقول:(أتى ولم تطلع الشمس بعد)، وهذا هو كلامٌ لايكاد يجيء إلا نابيًّا"[١] ، وقد ضرب على ذلك أمثلة عديدة من القرآن الكريم بقوله : ومما هو بهذه المنزلة في أنك تجد المعنى لايستقيم إلا على ما جاء عليه مِنْ بناء الفعل على الاسم ؛كقوله تعالى: **﴿إنَّ وليي الله الذي نزَّل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾**[٢]، وقوله تعالى **﴿وقالوا أساطيرالأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً﴾**[٣]، وقوله تعالى **﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ﴾**[٤]. فإنه لا يخفى على مَنْ له ذوق أنه لو جيء في ذلك بالفعل غير مبني على الاسم فقيل: (إنَّ وليي الله الذي نزَّل الكتاب ويتولى الصالحين)، و(اكتتبها فتملى عليه)، (و حُشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فيوزعون) لوجد اللفظ قد نبا عن المعنى، والمعنى قد زال عن صورته والحال التي ينبغي أن يكون عليها"[٥].ومن الملاحظ أن تقديم الاسم لغرض التوكيد والتحقيق يأتي لمعانٍ مختلفة ذكرها عبد القاهر في مواضع الشك والانكار، وكذلك الادعاء والمدح والفخر، حيث إنَّ هذه المواضع تحتاج إلى التأكيد من المتكلم على حقيقة معينة، ولاشكَّ في أنَّ الأمثلة التي أوردها تشترك في أحد عناصر النظرية التحويلية وهو التقديم.

أمَّا تقديم الاسم بعد واو الحال فيمكننا مناقشة المثال الأول الذي أورده الجرجاني، وهو (أتانا وقد طلعت الشمس) ،(وأتى والشمس لم تطلع) كالآتي: ففي الجملة الأولى نلاحظ الجملة الفعلية (طلعت الشمس) بعد واو الحال وهي لا

---

[١] دلائل الاعجاز ، (ص١١٥).
[٢] سورة الاعراف، الآية (١٩٦).
[٣] سورة الفرقان، الآية (٥).
[٤] سورة النمل، الآية (١٧).
[٥] دلائل الاعجاز (ص١١٦).

تعدو أن تكون كلامًا نابيًّا، أمَّا الجملة الأخرى التي قُدم فيها الاسم بعد واو الحال، حيث إنَّ أصل الجملة (طلعت الشمس) وهي جملة توليدية فعلية، ثم جاء عنصر التحويل بالزيادة، وهو النفي بـ(لم)، ثم طرأ عليها عنصر تحويلي آخر؛ وهو تقديم الاسم، فأصبحت جملة تحويلية تحتوي على عنصري تحويل؛ هما الزيادة والتقديم بعد واو الحال، فأصبحت (أتانا والشمس لم تطلع)، وهو كلام يدلُّ على التحقيق والتأكيد على العجلة في قدوم المتحدث عنه ...ويمكن ملاحظة الآيات القرآنية الكريمة في تقديم الضمير في قوله تعالى :"وهو يتولى الصالحين" وقوله"فهي تملى عليه"، وقوله "فهم يوزعون"، فالملاحظ أنَّ الأصل في هذه الجمل هو الجملة الفعلية "يتولى الصالحين"، و"تملى عليه"، و"يوزعون" جملة توليدية فعلية، ثم طرأ على هذه الجمل عنصر تحويل بتقديم الضمير بعد الواو والفاء، فأصبحت كالآتي "وهو يتولى الصالحين"، و"فهي تملى عليه"، و"فهم يوزعون"، فهذه الجمل جمل تحويلية تحتوي على عنصر تحويل وهو التقديم ، والمعنى في هذه الجمل التوكيد والتحقيق للمعنى المراد، والذي لا يمكن التعبير عنه بالفعل٠

وعقد عبد القاهر فصلًا[١] في تقديم النكرة على الفعل أو قُدم الفعل عليها، في قولك:(أ جاء ك رجل؟) فأنت تريد أن تسأله: هل كان مجيء من أحد من الرجال إليه٠ فإن قدَّمت الاسم فقلت:(أرجل جاءك؟) فأنت تسأله عن جنس مَنْ جاءه (أرجل أم امرأة ؟) ويكون هذا منك إذا كنت علمت أنه قد أتاه آتٍ، ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي ، والنكرة تختصُّ بالجنس ولا تختص بالعين؛ لأنَّ النكرة لا تدلُّ على عين، وإنَّما يكون ذلك في المعرفة فتقول :(أزيدٌ جاءك أم عمرو؟) ، أمَّا بالنسبة إلى تقديم النكرة في الخبر، فإذا قلت:(رجل جاءني) لم يصلح حتى تريد أن الذي جاءه رجلٌ لا امرأة، ويكون الكلام مع من عرف أن قد أتاك آتٍ ٠ فإن لم تُرد ذلك كان الواجب أن تقول (جاء ني رجل)، فتقدِّم الفعل، وكذلك إن قلت (رجل طويل جاءني) لم يستقم حتى يكون السامع قد ظنَّ أنه قد أتاك قصير أو نّزلته منزلة من ظنَّ ذلك٠ وقولهم:(شرٌ أهر ذا ناب) انما قُدم فيه (شر)، لأنَّ المراد أن يعلم أنَّ الذي أهر ذا الناب هو من جنس الشر لا من جنس الخير"[٢]٠

ومن الأمثلة السابقة يمكننا أن نلقي نظرة عليها، وذلك حسب عناصر التحويل فعبارة :(أجاء ك رجل) جملة فعلية مسبوقة بالاستفهام، والقصد أن تسأله عن مجيء أحدٍ من الرجال، وأمَّا جملة :(أرجل جاءك)، فأصلها (جاءك

---

[١] دلائل الاعجاز (ص١١٩)

[٢] المصدر نفسه (ص١٢٠).

رجل)، ثم طرأ عليها عنصر تحويل بزيادة الهمزة، فأصبحت جملة تحويلية تحتوي على عنصري تحويل؛ هما التقديم والزيادة، وهي:(أرجل جاءك)، وهي تعني السؤال عن الجنس؛ أي:(أرجل جاءك أم امرأة)، ولايسأل عن العين؛ لأنَّ النكرة لاتدل على العين، هذا في الاستفهام، أمَّا في الخبر فنعود إلى المثال الذي أورده الجرجاني: جاءني رجل٠ رجل جاءني٠ الجملة الأولى فعلية، وهي إخبار بقدوم رجل، وأمَّا الجملة الثانية فهي تحتوي على عنصر تحويل؛ وهو تقديم الفاعل، وتعني الإخبار عن جنس القادم، وهو رجل وليس امرأة، وذلك لأنَّ المخاطب كان يعلم بأن أحدًا قد قدم ولايعلم جنسه، وكذلك في المثل:(شرٌ أهر ذا ناب)، حيث إن أصل الجملة (أهر شرٌ ذا ناب) جملة توليدية فعلية طرأ عليها عنصر تحويل بتقديم الفاعل، فأصبحت:(شرٌ أهر ذا ناب)، وهي تعني الاخبار عن الجنس أنَّ الذي أهر ذا ناب هو من جنس الشَّرِّ لامن جنس الخير٠

وسيطول بنا المقام لو أردنا حصر كل ما ذكره الجرجاني في دلائل الإعجاز عن ظاهرة الحذف أو ظاهرة الزيادة أو غيرها من وسائل التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية، وفي الأسطر التالية أذكر بإيجاز شديد بعض الوسائل الأخرى التي وردت عند عبد القاهر الجرجاني في الدلائل، وذلك على النحو الآتي:

ثالثًا: الزِّيادة:

ونقصد بالزيادة: مجيء كلمة في البنية السطحية للتركيب من دون أن يكون لها أثرٌ في معنى البنية العميقة، ولكن فائدتها في التَّركيب التَّوكيد، والرَّبط وتقوية المعنى، ويُسميه اللغويون الجدد (**الزيادة والإقحام والإضافة**) ويرمزون إليه بما يأتي : (أ) - (أ + ب)[1].وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني:"ويقول:"وكلِّ ما زادَ على جزءي الجملة أن يكون زيادةً في الفائدة".[2] فالزيادة عند عبد القاهر ليست زيادة لفظية شكلية، وإنما زيادة لتجويد المعنى وزيادته.

ويسوق الجرجاني أحد أمثلة الزيادة في أحد أساليب العربية، حيث يقول:"... وأما جعلُها إذا جُمعَ بينها وبين اللام نحو: (إنَّ عبدَ الله لقائمٌ) للكلامِ مع المُنكرِ فجَيِّدٌ؛ لأنَّه إذا كان الكلامُ مع المنكرِ كانت الحَاجَةُ إلى التأكيدِ أشدَّ، وذلك أنك أحوَجُ ما تكونُ إلى الزيادة في تثبيت خَبرِكِ إذا كانَ هناك من يَدفعُه وينكرُ صحَّتَه".[3]ويقول أيضًا:" ... ورأيتَ الآخرَ قد أعاد عليك اللَّفْظة كأنَّه يخدعُكَ

---

[1] ينظر : ليونز،جون "نظرية تشومسكي اللغوية"(ص٣٢) .
[2] دلائل الإعجاز (ص٣٨٧).
[3] السابق (ص ٢٥١).

عَـنِ الفائـدة وقـد أعطاهـا . ويوهمُـك أنـه لـم يَـزدْك وقـد أحسـنَ الزيـادةَ ووفّاها".[1]وسبق ذكر بعض الأمثلة الدالة على الزيادة، عند الحديث عن ظاهرة التقديم والتأخير.

رابعًا: الاستغناء:

ويقصد به استغناءُ العربِ بكلمةٍ عن كلمةٍ أو أكثر؛ عن طريق حَذْفِ بَعْضِهاَ أو تغيير صورتها، أو الاستعانة بكلمة ليست من اشتقاقها؛ لوجودِ قرينةٍ، وذلك استحسانًا وطلبًا للخفَّة والاختصار، ولضربٍ من البلاغة وتجويد المعنى [2]، ومن ذلك ما ذكره **سيبويه** عن العرب في هذا الشَّأن:"ويستغنون بالشَّيءِ عنْ الشَّيءِ الذي أصله في كلامِهِمْ أن يُستعمل حتَّى يصيرَ ساقطًا".[3] وعن ذلك يقول **ابن جني** :"لا يُنكرُ أنْ يكونَ في كلامِهِمْ ـ العرب ـ أصولٌ غيرُ مَلْفُوْظٍ بهَا، إلا أنَّهَا مع ذلك مُقَدَّرَةٌ، وهذا واسعٌ في كلامهم".[4]

ومن ذلك عند عبد القاهر الجرجاني:"ذلك مثلُ قولِهم: أكرمَني وأكرمتُ عبد الله. أردتَ : أكرَمني عبدُ الله وأكرمتُ عبد الله . ثم تركتَ ذكرَه في الأوّل؛ استغناءً بذكره في الثاني. فهذا طريقٌ معروفٌ، ومذهبٌ ظاهرٌ وشيء لا يُعْبأ به، ويُظن أنه ليس فيه أكثرُ مما تُريك الأمثلة المذكورةُ منه . وفيه إذا أنتَ طلبتَ الشيءَ من معدنهِ من دقيق

الصِّنعة، ومن جَليل الفائدة ما لا تجدُه إلاَّ في كلام الفحول . فمِنْ لطيفِ ذلك ونادرهِ قولُ البحتري[5]:

لو شئتَ لم تُفْسدْ سَماحةُ حاتِمٍ ... كَرَمــاً ولــمْ تَهْــدِمْ مــآثرَ خالِــدِ

الأصلُ: لا محالة لو شئتَ أن لا تُفسدَ سماحة حاتمٍ لم تُفسدها. ثم حذَفَ ذلك مَن الأول؛ استغناءً بدلالته في الثاني عليه. ثم هو على ما تراه وتعلمُه منَ الحُسن والغرابة، وهو على ما ذكرتُ لك من أنَّ الواجبَ في حُكمِ البلاغة أن لا يُنْطَقَ بالمحذوف، ولا يَظْهرَ إلاّ اللفظُ"[6].وسبق ذكر بعض أمثلة الاستغناء عند الحديث عن الحذف.

---

[1] السابق (ص٣٨٠).

[2] للاستزادة ينظر:جاد الكريم،عبد الله،(٢٠٠٥م)،"ظاهرة الاستغناء في الدرس النحوي"، مجلة المشرق، معهد الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة.

[3] سيبويه،"الكتاب"(٢٥/١)،(١٢١/٢).

[4] ابن جني ،أبو الفتح،(١٩٥٤م)، "المنصف"،دار إحياء التراث القديم، القاهرة، (٣٤٨/١).

[5] البيت من الكامل، سبق تخريجه.

[6] الجرجاني،عبد القاهر،"دلائل الإعجاز"(ص ١٣٢-١٣٣).

خامسًا: الإجراء:

ويُقصد به إجراء حكم كلمة على كلمة أخرى؛ لوجود أوجه تشابه بينهما[١]، وهذا التَّصرُّف من شأنه أن يُحوِّل الكلام من البنية العميقة إلى البنية السطحية، وقد فطن ابن جني لدراسة هذه الظاهرة ودرسها في الخصائص، ومن ذلك قوله:"باب في إجراء اللازم مجرى غير اللازم، وإجراء غير اللازم مجرى اللازم، وكما أجرَوا غير اللازم مجرى اللازم في قولهم: لحْمَر ورُيّا، وقولهم: وَهْوَ الله، وَهْيَ التي فعلتْ".[٢] ومنه قوله:"وهو إجراء غير اللازم مجرى اللازم، وهو كثيرٌ..".[٣] ومنه قوله:"ومنها أنَّهم قد أجروا الحرف المُتحرِّك مجرى الحرف المُشدد".[٤] ويقول:"وذلك أنَّهم أجَروْا فَعُولة مجرى فَعِيلة لمُشابهتها إيّاها من عِدّة أوجه...".[٥] ومن ذلك قوله:"فتكسيرهم (نَدًى) على (أندية) يشهد بأنَّهم أجرَوا نَدًى ـ وهو فَعَل ـ مجرى (فعال)، فصار لذلك: ندى وأندية ، كَغَداء وأغدِية".[٦]

وقد تحدث عبد القاهر الجرجاني عن الإجراء أيضًا، حيث يقول:"وكذلك سبيلُ الواو الكائنةِ بمعنى "مع" في قولنا: لو تُركتِ النّاقةُ وفصيلَها لرضْعِها بمنزلةِ حرفِ الجرَّ في التوسُّط بينَ الفعل والاسم وإيصاله إليه . إلا أنَّ الفرقَ أنها لا تعملُ بنفسِها شَيئاً لكنها تُعينُ الفعلَ على عملِه النصَّب . وكذلك حكمُ "إلاَّ" في الاسْتثناء فإنَّها عندَهُم بمنزلةِ هذه الواو الكائنة بمعنى "مع" في التوسُّطِ وعملِ النّصب في المستثنى للفعل ولكن بوساطتِها وعونٍ منها".[٧] ومنه قوله:" وأمرٌ آخرُ وهو أن الحبيبَ (فعيل) بمعنى مَفعول".[٨]

ويمكن أيضًا أن يرمز له التوليديون التحويليون بالآتي: **التعويض**:(أ) ـ (ب) [٩].

---

[١] ينظر: نور،حسن محمد،(١٩٩٩م)،"الإجراء في الصيغ والتراكيب النحوية"، رسالة دكتوراه، دار العلوم القاهرة.
[٢] ابن جني، "الخصائص"(٨٧/٣).
[٣] المرجع السابق (٩٠/٣).
[٤] المرجع السابق (٣٢٠/٢).
[٥] ابن جني، "الخصائص"(١١٥/١).
[٦] المرجع السابق (٥٣/٣).
[٧] دلائل الإعجاز (ص ١٥).
[٨] المرجع السابق (ص١٥٢).
[٩] ينظر: ليونز، جون،"نظرية تشومسكي اللغوية"(ص٣٢).

اَلمَطْلَبُ اَلثَّانِي: أَثَرُ اَلْمَعْنَى فِي اَلْبِنْيَةِ اَلْعَمِيْقَةِ والسَّطْحِيَّةِ عِنْدَ عَبْدِ القَاهِرِ اَلْجُرْجَانِي

أرى أن من أهم الأسباب التي دعت عبد القاهر الجرجاني إلى الاهتمام بدراسة البنية العميقة وربطها بالبنية السطحية، والتحويل بينهما، هو الاهتمام بمعرفة معنى الكلام وتجويده، فالمعنى هو قطب الدرس اللغوي، يقول عبد القاهر الجرجاني:"ومنَ المعلوم أنْ لا معنى لهذه العباراتِ وسائرِ ما يجري مَجراها مما يُفْرَدُ فيه اللفظُ بالنعتِ والصفةِ وينسبُ فيه الفضلُ والمزيَّةُ إليه دونَ المعنى غيرَ وصفِ الكلام بحسنِ الدَّلالة وتمامِها فيما له كانت دَلالة"[١].

ولقد خصَّص عبد القاهر الجرجاني فصولاً تتعلق بهذا الأمر، ومن ذلك" فصل في دلالة المعنى على المعنى"[٢]، ويرى عبد القاهر أنَّ" التَّعويلَ ينبغي أن يكونَ على المعنى"[٣]، وهو الذي يتصل بالبنية العميقة للجملة، فـــ"المعنى ومعنى المعنى تعني بالمعنى المفهومَ من ظاهرِ اللفظِ والذي تصِلُ إليه بغيرِ واسِطَة، وبمعنى المعنى أن تعقِلَ من اللفظِ معنًى ثم يُفْضي بكَ ذلكَ المعنى إلى معنًى آخرَ".[٤]

وعن تكوُّن المعنى ونشأته، وعلاقته بالبنية العميقة قبل أن يظهر في البنية السطحية يقول الجرجاني:"يكونَ المعنى في ضمِّ الكلمةِ إلى الكلمةِ توخّي معنًى من معاني النحو فيما بينهما".[٥]

وقضية اللفظ والمعنى من القضايا المهمة التي شغلت اللغويين العرب كثيرًا وأثرت الدرس اللغوي العربي، وعن علاقة اللفظ بالمعنى يقول الجرجاني:"وإذْ قد عرفتَ ذلك فإذا رأيتَهم يجعلونَ الألفاظَ زينةً للمعاني وحِليةً عليها أو يجعلونَ المعاني كالجواري والألفاظَ كالمعارضِ لها وكالوشْيِ المحبَّر واللباس الفاخرِ والكُسوةِ الرائقة إلى أشبهِ ذلك؛ مما يفخِّمون به أمرَ اللفظِ ويجعلونَ المعنى يُنبل به ويشرُفُ .فاعلمْ أنّهم يضعون كلاماً قد يفخِّمونَ به أمرَ اللفظِ".[٦]

---

[١] دلائل الإعجاز (ص٥٢).
[٢] المرجع السابق (ص: ٢٠٧)
[٣] المرجع السابق (ص: ١٩٥)
[٤] المرجع السابق (ص: ٢٠٣)
[٥] المرجع السابق (ص: ٢٩٤)
[٦] المرجع السابق (ص: ٢٠٤)

ويتحدث عبد القاهر عن بداية المعنى في النفس وارتباطه بالبنية العميقة، حيث يقول:"إنه يرتّبُ المعاني في نفسِه ويُنزلُها ويَبني بعضَها على بَعض. كما يقولون : يرتبُ الفروعَ على الأُصول ويُتبعُ المعنى المعنى ويُلحقُ النَّظيرَ[١]

وعن أسبقية البنية العميقة وعلاقتها بالبنية السطحية يقول عبد القاهر الجرجاني أيضًا:"... لنا أنْ نرجعَ إلى نفوسِنا فننظرَ هل يتصورُ أن نُرتّبَ معاني أسماءٍ وأفعالٍ وحروفٍ في النَّفس ثم تخفَى علينا مواقِعها في النُّطق حتى يُحتاجَ في ذلك إلى فكرٍ ورويَّةٍ وذلك ما لا يشُكُّ فيه عاقلٌ إذا هو رَجعَ إلى نفسهِ . وإذا بطلَ أنْ يكونَ ترتيبُ اللّفظ مطلوباً بحالٍ ولم يكن المطلوبُ أبداً إلا ترتيبَ المعاني، وكان معوَّلُ هذا المخالفِ على ذلك فقد اضمحلَّ كلامُه وبانَ أنه ليس لمن حامَ في حديثِ المزيَّةِ والإعجازِ حولَ اللّفظ ورامَ أن يجعلَه السَّببَ في هذه الفضيلةِ إلاَّ التسكُّعُ في الحَيرة والخُروجُ عن فاسدٍ منَ القول إلى مثلهِ . واللهِ الموفّقُ للصَّواب. فإن قيل: إذا كانَ اللّفظُ بمعزلٍ عنِ المزيَّةِ التي تنازعْنا فيها وكانت مقصورةً على المعنى فكيف كانتِ الفصاحةُ من صفاتِ اللّفظِ البتَّة وكيف امتنعَ أن يوصفَ بها المعنى فيقال : معنىً فصيحٌ وكلام فصيحُ المعنى قيل : إنَّما اختصَّت الفصاحةُ باللّفظِ وكانت من صفتِه من حيثُ كانت عبارةً عن كونِ اللّفظِ على وصفٍ إذا كان عليه دلَّ على المزيّةِ التي نحنُ في حديثها وإذا كانت لكونِ اللّفظ دالاً استحالَ أن يوصَف بها المعنى كما يستحيلُ أن يوصفَ المعنى بأنه دالٌ مثلاً فاعرفْه . فإن قيل: فماذا دعا القدماء إلى أن قَسموا الفضيلة بينَ المعنى واللّفظ فقالوا : معنىً لطيفٌ ولفظٌ شريف وفخَّموا شأنَ اللّفظِ وعظَّموه حتّى تبعَهُم في ذلك مَن بعدَهم وحتّى قالَ أهلُ النَّظر : إنّ المعاني لا تتزايَدُ وإنما تتزايدُ الألفاظُ[٢]

وعن كيفية تحول الكلام من البنية العميقة إلى السطحية يقول الجرجاني:" ... أخذتَ في نوعٍ منَ الاتّساع وبعد أن تلطّفتَ على الجملةِ ضرَباً منَ التلطُّف. وكيف يُتَصوَّرُ أنْ يصعبَ مرامُ اللّفظ بسبب المعنى وأنتَ إن أردتَ الحقَّ لا تطلبُ اللّفظ بحالٍ، وإنَّما تطلبُ المعنى وإذا ظفرتَ بالمَعنى فاللفظُ معكَ وإزاءَ ناظرِك وإنما كان يتصورُ أن يصعبَ مرامُ اللّفظ من أجلِ المعنى أنْ لو كنتَ إذا طلبتَ المعنى فحصّلْتَهُ احتجْتَ إلى أن تطلبَ اللّفظ على حدةٍ وذلك مُحَال[٣]

وعن دور المعنى في توجيه التقديم والتأخير أو الحذف أو الذكر يقول الجرجاني:" ..إلاّ أنك تجدُ المعنى يلزمُك أن لا تنطقَ بهذا المفعولِ ولا تُخْرِجَه

---

[١] المرجع السابق (ص: ٥٨)
[٢] دلائل الإعجاز (ص٦٤).
[٣] المرجع السابق (ص ٦٤).

إلى لفظك . والسببُ في ذلك أن تعدَيتَك له توهُّم ما هو خلافُ الغرض".[١]ويقول :".. الأمرَ على ما عرّفْتُك من وجوبِ اختلاف المعنى بحسبِ التقديم والتأخير".[٢] ويقول :"..وهكذا كلُّ موضع كان القصدُ فيه أن يثبتَ المعنى في نفسِه فِعْلاً للشيء وأن يُخبرَ بأنَّ من شأنِه أن يكونَ منه أوْ لا يكونَ إلاّ منه أوْ لا يكونَ منه . فإنَّ الفعلَ لا يُعدَّى هناك لأنَّ تعديتَه تُنْقصُ الغرضَ وتُغَيِّر المعنى"[٣]،ويقول:" ويدلُّكَ على عِظَمِ شأنِ النظمِ وتَعْلَمُ به كيف يكونُ الإيجازُ بهِ وما صورَتُه وكيف يُزادُ في المعنى من غيرِ أن يُزادَ في اللفظِ إذ قدْ ترى أنْ ليس إلاّ تقديمٌ وتأخيرٌ وأنه قد حَصلَ لك بذلك من زيادةِ المعنى ما إنْ حاولتَ مع تَرْكِه لم يحصُلْ لك".[٤]

وتحدث عن الفصاحة وعلاقتها باللفظ والمعنى، ومن ذلك قوله:" وأقلَّ الاحتفالَ باللفظِ وجعلَ لا يعطيه مِنَ المزيةِ إنْ هو أعطى إلا ما فَضَلَ عن المعنى : يقولُ ما في اللفظِ لولا المعنى وهلِ الكلامُ إلاّ بمعناه"[٥]ومنه قوله:" ..الفصاحة في اللفظ لا المعنى"[٦]، ويقول:"إنَّ الفصاحة تكون في المعنى أنَّ المزيَّة التي من أجلِها استحقَّ اللفظُ الوصفَ بأنه فصيحٌ عائدةٌ في الحقيقة إلى معناه[٧]، ويقول:"وجملة الأمْرِ أنَّا لا نوجِبُ الفصاحة للفظةٍ مقطوعةٍ مرفوعة من الكلامِ الذي هي فيه ولكنَّا نوجبُها لها موصولةً بغيرها ومعلَّقاً معناها بمعنى ما يليها".[٨]

---

[١] المرجع السابق (ص ١٢٩).
[٢] المرجع السابق (ص ١٥١).
[٣] المرجع السابق (ص١٢٨).
[٤] دلائل الإعجاز (ص: ٢٢٢).
[٥] المرجع السابق (ص: ١٩٤).
[٦] المرجع السابق (ص: ٢٨٩).
[٧] المرجع السابق (ص: ٢٩٨).
[٨] المرجع السابق (ص: ٢٩٩).

اَلْمَبْحَثُ اَلثَّالِثُ: أَوْجُـهُ التَّشَابُهِ والتَّبَاين بَيْنَ عَبْدِ القَاهِرِ الجُرْجَانِي وَتُشُومِسْكِي

ممـا سـبق وغيـره مـن دراسـات وبحـوث حـول الفكـر التوليـدي التحـويلي عنـد تشومسكي، ومظـاهر هذا الفكر وإرهاصـاته عنـد شيخ البلاغيين العـرب عبـد القـاهر الجرجـاني، أردتُ أن ألخص هنـا بعض أوجـه التشـابه بين عبـد القـاهر الجرجاني وتشومسكي كما رصدها العلماء في بحوثهم ودراساتهم القيمة النافعـة التـي أفـدت منهـا كثيـرًا، حيـثُ يـرى الـدكتور مرتضـى جـواد بـاقر أنَّ كتابـات تشومسكي بصفة عامـة تتفق مـع الـدرس النحـوي العربـي فـي سمتين أساسيتين للبناء النحوي "فكلاهما يفترض مستويين للبنية النحوية للجمل، وكلاهما يؤسس هذا الافتـراض علـى حجـج نحويـة مستمدة من الحدود والبنيويـة علـى التركيـب الجملي وعلى الافتراضات النظرية التي وضعت لتفسير الظاهرة النحوية"[١].

أمَّا الخلاف بينهما فهو في الرؤية إلى النحو "فقد أسس تشومسكي رؤيته للنحو علـى أسـس رياضـية، وتقدم إفتراضـاته وصـفا قواعديًا بـأدوات رياضـية، بـل أنَّ النموذج الرياضي كان بالنسبة له مثالًا يُحتذى بـه فـي تحديد افتراضـاته، وهذا لـم يكن من سمات منهج الدرس النحوي العربي"[٢]، وكذلك إنَّ الهدف مختلفٌ وهو ما أكَّده الدكتور محمد عبد المطلب قائلًا "وإذا كانت حركـة تشومسكي استهدفت الوصول إلى (الكليات اللغوية) فإنَّ حركة عبد القاهر استهدفت البحث عن النظـام الـذي يتجسَّد فـي الظـاهرة اللغويـة، والكشـف عن هذا أو عن هذا (النظم) يعنـي الكشف عن البنية الحقيقية"[٣]، تلك البنية التي تتحقق من خـلال خـط المعجـم الـذي يشير اليه عبد المطلب بالمعنى وخط الدلالة الذي يمثل النظم [٤].

وإنَّ اَلْمُدقِّقَ في أعمـال الـرجلين وآرائهمـا ليجد بكل سـهولة ويسـر كثيـرًا مـن أوجـه التشـابه فيمـا بينهمـا، وأذكـر هنـا طرفًـا مـن ذلـك؛**كاسـتخدامهما للمـنهج العقلـي، والاهتمـام بالبنيـة السـطحية والبنيـة العميقـة، والاهتمـام بالتوليـد والتحويل، والاهتمام بالتراكيب اللغوية، وذلك على النحو الآتي:**

<u>أولاً: التشابه في استخدام المنهج العقلي.</u>

المنهج العقلي: وهو أحد النقاط التي أوحت الى بعض الباحثين بالتشابه بين (تشومسكي وعبد القـاهر الجرجـاني)، فإننـا نجـد الـدكتور محمـد عبـد المطلـب

---

[١] بـاقر، مرتضـى جـواد،(١٩٩٠م)، "مفهوم البنيـة العميقة بين تشومسكي والـدرس النحـوي العربي"، مجلة اللسان العربي، الرباط، عدد(٣٤) (ص٣٢).

[٢] المصدر نفسه (ص٣٢- ٣٣).

[٣] عبد المطلب،محمد،(١٩٩٥م)،"قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني"،الشركة العالمية للنشر، لونجمان- القاهرة،(ص٨٤).

[٤] المصدر نفسه (ص٨٤).

يقول:"وتلتقي اهتمامات تشومسكي بقدرات الانسان الذاتية بالجذور العقلانية للقرنين السابع عشر والثامن عشر عند ديكارت ومَنْ شايعه مِمَّن فهموا اللغة على أنَّها نظامٌ مُغلقٌ من العلاقات الدائمة"[١] ، وربما كان الدكتور عبد المطلب يشير إلى (التعليق) عند عبد القاهر باعتبار أنَّ اللغة مجموعة من العلاقات، ولكنه سُرعان ما يبين أنَّ عبد القاهر انطلق من المنهج العقلي للمعنى بقوله:"إنَّ اهتمام عبد القاهر – مرة أخرى- كان منوطًا منذ البداية بالتركيب العقلي للمعنى بوصفه أصل الأداء"[٢]، حيث يتوجَّهُ بعد ذلك بالجمع بين الاثنين حيث يرى" أنَّ المنهج العقلي هو الذي سيطر على فكر عبد القاهر ثم تشومسكي، فقادهما إلى اعتماد النحو التقعيدي أساسًا لإدراك القيمة الحقيقية للصياغة، وما يمكن أن يتَّجه هذا النحو من إمكانات تركيبية تقترب من الإنسان ومقاصده الواعية"[٣]، ومن هنا يتضح رأي الدكتور محمد عبد المطلب الذي يؤكد انطلاق الرجلين من المنهج العقلي، ولكنَّ هناك رأيًا آخر يمثله الدكتور مرتضى جواد باقر الذي يقول باختلاف المنهج العقلي وما يمثله عند عبد القاهر عن الذي يعنيه تشومسكي بقوله إنَّ" النشاط العقلي الذي يتحدث عنه تشومسكي ليس أكثر من هذه المعرفة بقواعد اللغة التي يمتلكها المتكلم الأصل كسليقة طبع عليها، وأمَّا الجرجاني فكلامه عن النشاط العقلي واعٍ للفرد الذي يختار عبره هذا الأسلوب أو ذاك متوخيًا فيه معاني معينة للنحو"[٤]، ومن خلال ماسبق تتبين لنا الفروق بين المنهج العقلي لكل من الرجلين.

ثانيًا: الاهتمام بالبنية السطحية والبنية العميقة .

وهي إحدى المحاور التي دارت عليها دراسات مقارنة بين عبد القاهر وتشومسكي ، حيث أشار الدكتور خليل العمايرة الى (البنية السطحية والبنية العميقة) عند تشومسكي قائلًا :"يرى تشومسكي أنَّ الجملة بُؤرة التحليل اللغوي من حيث علاقتها بالمعنى، وحقيقتها وجهان سطحي خارجي ظاهر، وتحتي باطني عميق"[٥]، والمعنى كما يرى الدكتور في" بنيتها التحتية، أمَّا الشَّكل فإنه يتحقق في تركيبها السطحي"[٦]٠ثُـمَّ يُقارن ذلك بعبد القاهر؛ حيث يرى أنه

---

[١] المصدر نفسه (ص٧٥).
[٢] عبد المطلب، محمد،"قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني"، (ص٨٦).
[٣] المرجع السابق (ص٦٣).
[٤] باقر، مرتضى جواد،"مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي"(ص٣٠).
[٥] عمايرة، خليل أحمد،(١٩٨٣م)،"البنية التحتية بين عبد القاهر وتشومسكي"، مجلة الأقلام، بغداد ع١،(ص٩٠)٠
[٦] المصدر نفسه (ص ٩١).

عالج قضية البنية السطحية والبنية العميقة من خلال أوضاع اللغة قائلًا :"يرى الجرجاني أنَّ المباني الصرفية التي تحتويها اللغة (أوضاع اللغة)، وتحتاج إلى شيء آخر؛ لتكون قادرة على جعل السامع يعرف غرض المتكلم ومقصوده، المقصود الذي هو بالتأكيد ليس معاني الكلم المفردة، فالكلمات وحدها لا تفيد حتى تؤلف ضربًا خاصًّا من التأليف"[١]، ويفهم من ذلك أنَّ الدكتور العمايرة يشير إلى (التعليق) من خلال عملية التأليف، إذ أن قصد المتكلم لا يظهر إلا من خلال التأليف الذي يمثل التعليق وسيلة في إيجاده، والتأليف بين المفردات تحصيل حاصل في انتاج النظم [٢] .

إنَّ المعنى العميق عند عبد القاهر الذي يتمثَّل بالمعنى الدلالي المتحقِّق عن مفهوم التحويل طبقًا للمعنى الموجود في الذهن، فيأتي ترتيب الكلمات في الجملة دالًّا على ترتيبها في العقل[٣]، وهو يُخالف استخدام تشومسكي لمصطلح التحويل، فتشومسكي يستعمل المصطلح (Transformation) "ليحدد به أصناف القواعد التي تقوم بالعمل بعد التوصل الى المكون الخاص ببنية العبارة"[٤]، فهل مفهوم التحويل هذا يتناسب مع ما يقول به عبد القاهر؟

ولعل الدكتور مرتضى جواد باقر بيَّن تنافر الاتجاهين في فهم التحويل لأنَّ "بنية الجملة العميقة هي تركيب نحوي مجرد، وأنَّها ليست صورة دلالية للجملة، فهذه بنية مستقلة عن بنيتها العميقة ضمن هذا التصور للقواعد، تركيب نحوي يتألف من عناصر نحوية، في حين أنَّ البنية الدلالية للجملة تتكون من عناصر دلالية (معنوية) أولية، وما يربط بينهما من علاقات دلالية، أمَّا كيف يتمُّ الرَّبطُ بين البنية العميقة (النحوية) للجملة وبين بنيتها الدلالية، فإنَّ هذا كان موضع نقاش وبحث دائميين"[٥]، وبذلك يرفض الدكتور مرتضى وجود تطابق بين البنيتين، ومِمَّا يؤكِّد دقة كلامه، قول تشومسكي الذي يرى فيه أنه"ينبغي ألَّا يُساء فهم الملاحظات.. عن إمكانية وجود اعتبارات دلالية للدراسة النحوية على أنها تشير إلى دعم فكرة أن النظام القواعدي يُؤسِّس على المعنى، فالنظرية التي

---

[١] المصدر نفسه (ص ٩٢).
[٢] المصدر نفسه (ص ٩٣).
[٣] عمايرة، خليل أحمد،(١٩٨٣م)،"البنية التحتية بين عبد القاهر وتشومسكي"، مجلة الأقلام، بغداد ع١،(ص٩٣)٠
[٤] افتش، مليكا،(١٩٩٦م)،"اتجاهات البحث اللساني"، ترجمة :الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح والدكتور وفاء كامل فايد، الهيئة العامة لشؤون المطابع الامريكية، القاهرة ، (ص ٣٧٩).
[٥] باقر، مرتضى جواد،"مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي"(ص١٢- ١٣).

أوجزتها.. اعتمدت اعتمادًا كُليًّا على الشكل دون الدلالة".[١] أمَّا الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي فلا يخالف رأي الدكتور العمايرة؛ حيث يربط البنية العميقة بالمعنى وترتيبه في الذهن قائلًا :"أنَّ علاقة (البنية العميقة) هي علاقةٌ جذريةٌ بترتيب المعنى في الذهن، وهذا الذي عبَّر عنه قبل ما يقرب من ألف عام عبد القاهر بقوة..".[٢]

ويتَّفق الدكتور محمد عباس مع سابقيه؛ مشيرًا إلى قيام عبد القاهر ومن خلال نظريته في نظم الكلم "بتحويل القاعدة النحوية التي تحافظ على قانون النحو من أن المبتدأ هو ما يُبتدأ به الكلام، ولذلك سمي بهذا الاسم، يحوُّل هذا الاعتقاد السَّائد عند النُّحاة واللُّغويين إلى المعنى الدلالي، وهو الذي أخضعها؛ لأن تكون على تلك الصورة، وتولَّد عنها هذا الترتيب في بنية العلاقات التي تكون الجملة"[٣]، وبذلك يكون عبد القاهر قد "لامس اتِّجاه مدرسة النحو التحويلي والتوليدي التي يمثلها تشومسكي، والتي تعتمد على: اعتبار الجملة هي الوحدة اللغوية الأساسية، ويُميّز فيها بين البنية الظاهرية (السطحية) والبنية العميقة"[٤]، ولعلَّ تأكيد إنطلاق الرجلين (عبد القاهر وتشومسكي) من الجملة وللبحث هو ما أ كَّده الدكتور مرتضى حيث قال:" أن تشابه الرجلين أهمه في الانطلاق من الجملة؛ مِمَّا يجعل بعضهم يعتقد بتقارب المفهومين، يقول:"وزاد من تلك الشبهة أنَّ الجرجاني وتشومسكي يلتقيان في اتخاذهما الجملة موضوع درسهما الأساسي"[٥].

وعلى الرُّغم من هذا التَّقارب إلا أنَّ هناك اختلافًا في تناول الجملة بين الرجلين، ويتمثَّل ذلك في أنَّ تشومسكي يتحدَّث عن جملة أو بنية "نحوية وكيفية وصفها من حيث طبيعتها وشكلها، والبنية النحوية لديه هي البنية النحوية للغة ما عند المتكلم /السامع المثالي، فهو إذن يتحدَّث عن البنية النحوية بصورتها المثالية .. بتجريدها عن كُلِّ أثرٍ فردي؛ كالمهارات الكلامية عند البعض.

---

[١] تشومسكي،نعوم،(١٩٨٧م)،"البنى النحوية"، ترجمة: يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط ١،(ص١٢٤).

[٢] العبيدي، رشيد عبد الرحمن،(١٩٨٩م)،"الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين"، مجلة المورد، المجلد ١٨، العدد الثالث، وزارة الثقافة والإعلام، العراق ، (ص١٤).

[٣] عباس، محمد،(١٩٩٩م)،"الأبعاد الابداعية عند عبد القاهر الجرجاني (دراسة مقارنة)"، دار الفكر، دمشق، سوريا، (ص٢٩).

[٤] المصدر السابق (ص٣٠).

[٥] باقر، مرتضى جواد،"مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي"(ص٢٧).

أمَّا الجرجاني فإنَّه معنيٌّ مباشرة بالإبداع الفردي في الاستخدام اللغوي، وهو يريد أن يستكشف قوانين هذا الابداع الفردي، فيقدِّم ما عرف (بنظرية النظم)"[١]، وبذلك اختلف تناول الجملة بين الرجلين، وهذا مايؤكده قول تشومسكي نفسه الذي يرى أن يجري"الوصف اللغوي على المستوى النحوي عادة بموجب التحليل إلى المكونات (الإعراب)"[٢]، إذ هو وصف عامٌّ لا يمتُّ إلى عمل عبد القا هر كما يرى الدكتور باقر، وخلاصة الأمر فإن البنية السطحية والبنية العميقة تختلفان من باحث لآخر، فالمعنى يكون محصورًا في بنيتها التحتية، وأمَّا الشكل فإنه يتحقق في تركيبها السطحي كما قال الدكتور العمايرة، وهناك رأي آخر يرى أن البنية العميقة تركيب نحوي مجرد، وأنَّها ليست صورة دلالية للجملة أو بنية دلالية للجملة كما قال الدكتور مرتضى جواد باقر.

ثالثًا: الاهتمام بالتوليد والتحويل .

يُعَدُّ مصطلح (التوليد والتحويل) أحد عناصر المقارنة بين تشومسكي وعبد القاهر، إنَّ مفهوم التوليد والتحويل يُعرف، ويتعدّد معناه بحسب الباحثين والدارسين واختلاف آرائهم، يقول الدكتور مرتضى جواد باقر :"إنَّ الاختلافات أدَّت إلى تعقيد الأمر، فقد فهم البعض أنَّ التوليد – وهو مصطلح من مصطلحات مدرسة القواعد التوليدية – يعني إنشاء أنساق متنوعة من مجموعة ألفاظ محددة أو من بنية عميقة تعمل كأصل لتلك الجمل التي تكون فروعًا لها، وهذا الفهم الخاطيء للتوليد قد يُوحي (أو إنه أوحى) بشبه بين تشومسكي والجرجاني، فالجرجاني يتحدَّث أيضًا عن الأساليب والأنساق المختلفة التي يمكن ردُّها إلى أصلٍ واحدٍ، والتي تؤدِّي معاني مختلفة تختلف بين النسق والنسق .."[٣]، وبذلك فإنَّ المقصود من التوليد عند تشومسكي ليس "اشتقاق جملة من جمل أخرى، ففي الصفحات الأولى من كتابه (جوانب من نظرية النحو) يُعرف تشومسكي الفعل (يولد) بأنه يعني إعطاء وصف بنيوي واضح وجلي للجملة لا يدع مجالًا للحدس والظن"[٤].

والملاحظ أنَّ تشومسكي يتحدَّث عن الجانب النحوي "من القواعد على أساس أنه الجانب الخلَّاق، فقوانين القواعد النحوية هي التي تُولِّد جُملًا مع أوصافها

---

[١] المصدر السابق (ص٢٨).
[٢] تشومسكي، نعوم،"البنى النحوية"،(ص٣٧).
[٣] باقر، مرتضى جواد،"مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي"(ص٣٠).
[٤] المصدر السابق نفسه (ص٣٠).

البنيوية، وليلاحظ القارئ الفرق بين القوانين التي تولد والجمل الأصلية التي تُولَّد جُملًا أخرى على حدِّ قول أولئك الباحثين" [١] أمَّا الباحثة مليكا فإنها ترى أنَّ المقصود بمصطلح التوليد هو"الكشف عن القواعد الحاكمة على بنية الجمل وتراكيبها"[٢]، حيث إنَّ منهج تشومسكي في النحو وصفي و"ينبغي على الوصف النحوي أن يتحرك في اتجاه الوحدات الصغرى انطلاقًا من الوحدات الكبرى، أي البنية الأساسية للمنطوق يجري تحديدها؛ أي: تحديد المكونات المباشرة، حين تأتي الدراسات الوصفية للوحدات الصرفيمية الأساسية فيما بعد"[٣]...وبذلك يكون النحو التوليدي عند تشومسكي قائمًا على الوصف وليس اشتقاق جملة من جملة كما هو عند عبد القاهر على رأي الباحثة مليكا، في حين نجد رأيًا مُخالفًا للدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي عندما يذكر بوجود التشابه بين الرجلين بقوله:"والتزام قواعد اللغة في بناء الجملة ألأصولية في النحو التوليدي قضية مبدئية، وهي كذلك عند الجرجاني وغيره من النحاة"[٤].

أمَّا مصطلح التحويل فنلاحظ تعدُّد هذا المفهوم على وفق الدارسين والباحثين ورؤيتهم المختلفة، فالدكتورة مليكا تحدد استخدام تشومسكي لمصطلح التحويل، حيث تقول:" إنَّه يستعمل مصطلح (Transformation) ليحدِّد به أصناف القواعد التي تقوم بالعمل بعد التوصل الى المكون الخاص ببنية العبارة"[٥]. أمَّا الدكتور محمد عبد المطلب فقد عرض لطرق التحويل النحوي عند تشومسكي؛ ليجعل منها طريقتين – التي لا تغادر السياق المعاصر نفسه – تتَّفق وما طرحه عبد القاهر، والطريقتان هما، البناء العقلي الباطني أولًا ثُمَّ البناء اللفظي الملموس ثانيًا مدار التحرك للجرجاني في النظم قائلاً :"ليس شيئًا سوى توخِّي معاني النحو فيما بين الكلم، وإنك تُرتِّب المعاني أولًا في نفسك، ثُمَّ تحدوا على ترتيبها (الألفاظ) في النطق".[٦]

---

[١] المصدر السابق نفسه (ص٣٠).
[٢] افتش، مليكا،"اتجاهات البحث اللساني"،(ص ٣٧٩).
[٣] المصدر السابق نفسه (ص٣٨٠).
[٤] العبيدي، رشيد عبد الرحمن،"الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين"،(ص١٦).
[٥] افتش، مليكا،"اتجاهات البحث اللساني"،(ص ٣٧٩)٠
[٦] عبد المطلب، محمد،"قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني"، (ص٧٢)، وينظر: دلائل الإعجاز (ص٩٨- ١٠٠).

رابعًا: الاهتمام بالتراكيب اللغوية.

دارت بعض البحوث والدراسات المقارنة بين تشومسكي وعبد القاهر على المستويات اللغوية أو (التراكيب اللغوية)، وقد تحدَّث الدكتور محمد عبد المطلب عن هذه القضية قائلاً:"ولاشكَّ بأنَّ تشومسكي قد مدَّ مجال بحوثه إلى مستويات صوتية ودلالية، وذلك أنَّ اهتمامه كان مُوجَّهًا إلى الناحية النَّظميَّةِ بالدرجة الأولى، على نحو جعل المقارنة التطبيقية والنظرية مركزة على البنى الجزئية للصياغة الأدبية وكيفية ارتباط تكوينها الجمالي بالشكل الخارجي، مع إدراك للفارق الدقيق بين مكونات الصياغة الأدبية – بعد دخول النحو فيها والصياغة المألوفة التي تأتي وما يتَّفق دون توفر أي نية جمالية وراءها"[١]، ولعلَّ السبب في أنَّ عبد القاهر عرض للمستويات اللغوية ولم يتوسع، ويفصل في ذلك لأنَّ هدفه كان إعداد نظرية النظم التي تثبت الإعجاز في القرآن الكريم عندما يقول:".. فإنَّ لنا طريقًا إلى إعجاز القرآن"[٢]، ولذلك فإنَّ الطريق الذي سلكه عبد القاهر طريق الشعر والنحو والبلاغة ودراستها وكيفية تفاضل الشعراء فيما بينهم وبيان العلة في ذلك وصولًا إلى إعجاز القرآن الكريم الذي أنزله الله ﷻ وهو أعلم الكون باللغة العربية التي حفظها من الضياع، ولذلك كان الشعر والنحو والبلاغة هما الوسيلة لإثبات الاعجاز.

ويوافق الدكتور محمد عباس الدكتور عبد المطلب مُشيرًا إلى أن (نظرية النظم) يتم بها التوصيل والتبليغ للوظيفة الأدبية التي حدَّد عبد القاهر جوانبها في المستويات اللغوية المختلفة؛ سواء النحوي منها والدلالي والتركيبي، مُضيفًا بأنَّه مُتفرِّدٌ بحصر المستويات اللغوية (بالتركيب اللغوي)[٣]، معدًّا في الوقت نفسه أن المصطلح يراعي" النمط الخاص بالعلاقات داخل النظام اللغوي الذي يحافظ على الملاءمة التي تعني العلاقة التي يقيمها كل مستوى مع غيره من المستويات داخل النظام الواحد"[٤]، وهو ما اتَّفق عليه معظم الباحثين المعاصرين الذين حدَّدوا التركيب اللغوي عند عبد القاهر بشبكة من العلاقات المعنوية والشكلية القائمة بين الوحدات المورفولوجية، وهي (الاسم والفعل والحرف) التي أدرك قيمتها، وتفطَّن إلى أساس المستوى التركيبي والدلالي هو المستوى الصرفي[٥]،

---

[١] المرجع السابق (ص٦٤).
[٢] دلائل الاعجاز (ص٢٦).
[٣] ينظر:عباس، محمد، "الأبعاد الابداعية عند عبد القاهر الجرجاني (دراسة مقارنة)" (ص٢٧، ٢٨).
[٤] المصدر نفسه (ص٢٨).
[٥] ينظر:جار الله، دلخوش،(٢٠٠٧م)،"الثنائيات المتغايرة في دلائل الإعجاز"،دار دجلة للنشر، بغداد، العراق، (ص٥).

وتابع الدكتور راجي رموني معاصريه، من دون الإشارة إلى مصطلح التركيب اللغوي في حين أنَّ الدكتور كريم زكي يتَّفق مع سابقيه، وهو يُعوِّلُ على المصطلح من بعيدٍ قائلًا: "لقد فطن عبد القاهر إلى أن الأبنية الصرفية أو الكلمات المفردة لاتؤدي أيَّ معنى، وأنَّها تحتاج الى شيء هام لتكون قادرة على جعل المتكلم يفي بمقصوده، فيستعمل عبد القاهر مصطلح النظم والتعليق يشير إلى الخيط الذي يربط بين الكلمات المفردة أو أجزاء التراكيب"[١]، إذ يمكن القول أن المستويات سواء كانت دلالية أم صوتية أم تركيبية تندرج تحت مايعرف(بالتركيب اللغوي) ذاك الذي لا يخرج عن مفهوم التعليق أو النظم، وإذا اعتبرنا الأداء القرآني نظمًا قائمًا بذاته، فإن لنا أن نقول بأن الصياغة الشعرية بنحوها المتميز تمثل قمة الأداء الفني بخصوصيتها التركيبية، وإمكانيتها الدلالية الوفيرة، وطبيعتها التصويرية، هذا فضلًا عمَّا يُغلِّف ذلك من تشكيل إيقاعي يؤكد حقيقة التميز"[٢].

وفيما يتعلق بـ(مكانة الفرد وأهميته) بوصفه واحداً من العملية التواصلية، فإنَّ الدكتور خليل العمايرة يشير الى الكلام وعلاقته النفسية إذْ يقول:"إنَّ جوهر الكلام هو ذلك الكلام النفسي، وأمَّا الكلام اللفظي فهو ظلٌّ لهذا الكلام النفسي"[٣]، وأشار الدكتور محمد عبد المطلب الى هذا مُضيفًا أنَّ الرجلين انطلقا بالنظر إلى "المعايير المجردة من خلال الفرد الذي يتعامل بها تعامُلًا خَلَّاقًا، فالقواعد اللغوية ترجع في حقيقتها إلى العقل الداخلي والمنطق عند تشومسكي، كما ترجع إلى الكلام النفسي عند الجرجاني"[٤]. هذه هي النظرية المعاصرة التي اتَّسمت بإقرار التَّشابه في مُعالجة هذه القضية بين الرجلين[٥]، وعلى الرغم من اتِّفاق الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي مع هذه النظرة إلا أنَّه يعالج التشابه من باب آخر، إذ ينطلق في دراسته من المتكلم، ومدى قدرته في تشكيل عدد مُتناهٍ من الجمل، وقدراته في معرفته للجمل الملتبسة من غير اَلمُلتبسة"[٦]، فالدكتور لا يبحث في طبيعة العلاقة بين الكلام المنطوق والكلام النفسي أو العقلي كما هو الحال عند المعاصرين بل أخذ في الكشف عن طبيعة الكلام، وما على المتكلم أن يفعله كي يقال أنه متكلم.

---

[١] حسام الدين، كريم زكي،(٢٠٠١م)،"أصول تراثية في اللسانيات الحديثة"، دار النهضة المصرية، القاهرة، (ص٢٣١).
[٢] قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني (ص ٦٥)
[٣] البنية التحتية بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي (ص١٩).
[٤] قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني (ص٦٨).
[٥] البنية التحتية بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي (ص٩٢).
[٦] ينظر: الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين (ص٧١).

وهذا الاجماع عند المعاصرين في وجود التشابه بين عبد القاهر وتشومسكي في أهمية الفرد وقدرته علي التعبير عمَّا يجول في نفسه، خالفه الدكتور مرتضى جواد باقر الذي علل مخالفته بأن "تشومسكي لم يقدم نظامه القواعدي على أساس أن له حقيقة نفسية، فطريقة عمل القواعد مثلًا لم ينسب اليها أية مطابقة مسبقة مع العمليات الذهنية التي يتضمنها الاستخدام اللغوي قولًا وإدراكًا. أمَّا الجرجاني اَلْمَعني أساسًا بالنِّتاج اللغوي الذي يمتاز به فردٌ دون آخر؛ أي: الإبداع – وليس المعرفة اللغوية عند الانسان عمومًا – وهذا كُلُّ الاختلاف الجوهري، فله موقف آخر من الحقيقة النفسية للنتاج اللغوي، فهو يرى أن الجمل تترتب عناصرها حسب ترتيب المعاني في نفس القائل"[١]. وهذا صحيحٌ لأنَّ عبد القاهر أكَّد أنَّه "ليس الغرض بنظم الكلم إنْ توالت ألفاظها في النُّطق، بل إن تناسقت دلالاتها، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقلُ"[٢]، ولعلَّ هذا ما دفع الدكتور باقر مرة أخرى إلى القول بتقاطع عمل الرجلين قائلًا :"إنَّ هذا القول حين يُؤخذُ بكُلِّ ما يعنيه، يعني أولًا: نفيًا قاطعًا لبنية نحوية ذات حدود واضحة تفرضها الانتظامات النحوية لكُلِّ لغة، أو نفيًا لوجودٍ مُستقلٍّ لمثل هذه الانتظامات أو لطرق تعليق الكلمات بعضها ببعض ونظمها في الجملة العربية ..، وهي بالتالي نفي لوجود النظام اللغوي المستقل"[٣]، ويُشير ثانيًا: إلى أنَّ تشومسكي يسير على وفق مستويين لتمثيل بنية الجمل في النحو التحويلي يختلفان عن عمل عبد القاهر، وهما بعيدان أشدَّ البعد عن الجانب النفسي والمستويان هما "مستوى بنية العبارة phrase structure ، والمستوى التحويلي transformational-level ، وينشأ عن ذلك نوعان من القواعد، قواعد العبارة phrase-rules أو قواعد مكونات البنية constituent p-rules structure وقواعد التحويل rules tr ansformational ، وعند وضع نحو ما للغة بعينها يكون على المرء أن يستعمل المستويين كليهما: مستوى وصف بنية العبارة ومستوى وصف التحويل"[٤]، وبذلك فإنَّ تشومسكي يحدد المستويات في دراسة اللغة من دون أن يذكر انتقال الفكرة التي تجول في النفس من العقل إلى الكلام كما بيَّن عبد القاهر.

*****

[١] مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي (ص٣١- ٣٢).
[٢] دلائل الا عجاز (ص١٠٢).
[٣] مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي (ص٣٢).
[٤] اتجاهات البحث اللساني (ص٣٨٢).

اَلْخَاتِمَةُ وَأَهَمُّ النَّتَائِج

الحَمْدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيدنا رسول الله .. أمَّا بعدُ:

فقد انتهت - ولله الحمدُ - هذه الدراسة اللغوية التي تُعنى بالوقوف على ملامح الفكر التوليدي التحويلي في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، وموازنة هذه الملامح مع ما ورد بعد أكثر من ألف عام عند رائد المدرسة التوليدية التحويلية تشومسكي، في محاولة جادة للربط بين الأصالة والمعاصرة، ومحاولة معرفة الدور الحقيقي لعلماء اللغة العربية في هذا المضمار اللغوي المهم، وقد توصلت الدراسة إلى كثير من النتائج، من أهمها:

١- عرضت الدراسة لكثير من مفاهيم ومصطلحات الفكر التوليدي التحويلي.

٢- وقفت الدراسة على وجود كثير من وسائل التحويل من البنية العميقة إلى السطحية عند عبد القاهر؛ كالحذف، والتقديم والتأخير، والزيادة...الخ.

٣- أكدت الدراسة أوجه التشابه بين عبد القاهر الجرجاني وتشومكي في كثير من الآراء والملامح التوليدية التحويلية.

٤- أكدت الدراسة اهتمام عبد القاهر بالعلاقة الوطيدة التي تربط بين المعنى والبنية العميقة وتأثير ذلك على البنية السطحية.

٥- وازنت الدراسة بين كثير من الآراء الواردة عند عبد القاهر الجرجاني وتشومكي، ووقفت على كثير من أوجه التشابه وقليل من أوجه التباين ذكرت في متن الدراسة.

٦- تؤكد الدراسة على الدور الرائد والآراء السديدة لعبد القاهر الجرجاني وملامح الفكر التوليدي التحويلي دون التصريح بالمصطلحات بمفاهيمها المعاصرة، هذه الآراء التي كانت بلا شك مفيدة لما ورد فيما بعد أكثر من ألف عام عند تشومسكي وتلاميذه.

٧- أكدت الدراسة أنه لا تعارض ولا عيب في دراسة التراث بمناهج معاصرة حداثية، ومن حق علمائنا القدامى أن نضعهم في المكان اللائق بهم.

٨- أكدت الدراسة أن منجزات علم اللغة الحديث وتطوراته المذهلة والمتلاحقة لا بد أن يُستفاد بها في دراسة التراث اللغوي العربي وإصلاح أوجه قصوره أو هناته إن وجدت، ولا عيب في ذلك،بل هو أمرٌ واجب وضروري.

٩- أكدت الدراسة أن عبد القاهر الجرجاني شيخ البلاغيين العرب قد توصَّل إلى آراء وأفكار توليدية تحويلية سبق بها التحويليين الجدد، وربما لم يفطنوا إليها بعد .

وبعد، فماكان في هذه الدراسة من توفيق وسداد فمن الله، وما كان بها من قصور وهنات فمن عند نفسي والشيطان، والله أسأل أن ينفع بهذه الدراسة، والله ولي التوفيق والسداد،،،

*****

قائمة بأهم المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم:

ثانيًا: المصادر والمراجع:

١. ابن الأثير، ضياء الدين،**"المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"**، تحقيق: بدوي طبانة وأحمد الحوفي،نهضة مصر،القاهرة .

٢. ابن جني ،أبو الفتح،(١٩٥٤م)، **"المنصف"**،دار إحياء التراث القديم، القاهرة .

٣. ابن جني، أبو الفتح، **"الخصائص"**،تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت (٤٧٦/٢) .

٤. ابن جني، أبو الفتح،(١٩٩٩م)، **"المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها"**، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.

٥. ابن جني،أبو الفتح بن عثمان،(١٩٨٥م)،**"سر صناعة الإعراب"**، تحقيق : د.حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، سوريا،ط١.

٦. ابن مالك، محمد بن عبد الله،(١٩٩٠م)،**" شرح تسهيل الفوائد"**، المحقق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، القاهرة.

٧. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين،(٢٠٠٣م)، **"لسان العرب"**، دار صادر، بيروت.

٨. ابن هشام،عبدالله بن يوسف،(١٩٨٥م)،**"مغني اللبيب"**، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر،بيروت، ط٦.

٩. أبو المكارم،علي،(١٩٦٤م)، **"الحذف والتقدير"**، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

١٠. الأصفهاني، أبو الفرج،**"الأغاني"**، تحقيق: سمير رجب، دار الفكر، بيروت، ط٢.

١١. افتش، مليكا،(١٩٩٦م)،**"اتجاهات البحث اللساني"**، ترجمة :الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح والدكتور وفاء كامل فايد، الهيئة العامة لشؤون المطابع الامريكية، القاهرة.

١٢. باقر، مرتضى جواد،(١٩٩٠م)،**"مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي"**،مجلة اللسان العربي، الرباط، عدد (٣٤).

١٣. البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤٢٢هـ)،**" الجامع المسند الصحيح"**،تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، بيروت، ط١.

١٤. تشومسكي،نعوم،(١٩٨٧م)،**"البنى النحوية"**،ترجمة:يؤيل يوسف عزيز،مراجعة: مجيد الماشطة،دار الشؤون الثقافية،بغداد،ط١.

١٥. الجاحظ،عمرو بن بحر،(١٩٦٨م)،**"البيان والتبيين"**، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت،ط١.

١٦. جاد الكريم، عبد الله، (٢٠٠٤م)،**"الدرس النحوي في القرن العشرين"**، مكتبة الآداب، القاهرة.

١٧. جاد الكريم،عبد الله،(٢٠٠٥م)،**"ظاهرة الاستغناء في الدرس النحوي"**،مجلة المشرق،معهد الدراسات الشرقية،جامعة القاهرة.

١٨. جار الله، دلخوش، (٢٠٠٧م)،**"الثنائيات المتغايرة في دلائل الإعجاز"**،دار دجلة للنشر والتوزيع، بغداد، العراق.

١٩. الجرجاني، عبد القاهر،(١٩٩٥م)،**"دلائل الإعجاز"**، تحقيق: محمد التنجي، دار الكتاب العربي،بيروت.

٢٠. الجندي،طه،(١٩٨٠م)،**"ظاهرة المطابقة النحوية في ضوء الاستعمال القرآني"**، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، القاهرة.

٢١. حسام الدين، كريم زكي،(٢٠٠١م)،**"أصول تراثية في اللسانيات الحديثة"**، دار النهضة المصرية، القاهرة.

٢٢. حمودة، عبد العزيز،(٢٠٠١م)،**"المرايا المقعرة"**، عالم المعرفة، الكويت.

٢٣. الحموي، تقي الدين(١٩٨٧م)،**"خزانة الأدب"** ،تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

٢٤. الخولي، محمد علي، (١٩٨٢م)،**"دراسات لغوية"**، دار العلوم ، الرياض.

٢٥. الخولي، محمد علي، (١٩٩٩م)،**"قواعد تحويلية باللغة العربية"**، مكتبة الفلاح، الكويت،ط١.

٢٦. الراجحي، عبده،(١٩٨٦م)، **"النحو العربي والدرس الحديث"**، دار المعرفة الجامعية، بيروت.

٢٧. الرافعي، مصطفى صادق،(٢٠٠٤م)**"ديوان مصطفى صادق الرافعي"**، تحقيق:ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية،صيدا،بيروت.

٢٨. رجب،ياسر حسن،(١٩٩٢م)،**"ظاهرة النقل في الدراسات النحوية"**، رسالة ماجستير، دار العلوم، جامعة القاهرة.

٢٩. الزركشي،بدر الدين،(١٩٧٢م)،**"البرهان في علوم القرآن"**،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،دار إحياء الكتب العربية،القاهرة.

٣٠. زكريا، ميشال، (١٩٨٦م)، **"الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)"**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية.

٣١. سيبويه، أبو عمرو بن بحر،**"كتاب سيبويه"**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.

٣٢. السيوطي، جلال الدين،**"همع الهوامع"**، المحقق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية - مصر.

٣٣. السيوطي، جلال الدين،(١٩٩٠م)، **"الأشباه والنظائر"**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٣٤. الطويل،سيد رزق،(١٩٨٣م)،**"ظاهرة التوهم في الدراسات النحوية والتصريفية"**،ع١،مجلة كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى.

٣٥. عباس، محمد،(١٩٩٩م)،**"الأبعاد الابداعية عند عبد القاهر الجرجاني (دراسة مقارنة)"**، دار الفكر، دمشق، سوريا.

٣٦. عبد اللطيف، محمد حماسة،(١٩٨٢م)،**"في بناء الجملة العربية"**، ط دار القلم، الكويت.

٣٧. عبد المطلب، محمد، (١٩٩٥م)،**"قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني"**، الشركة العالمية للنشر، لونجمان- القاهرة .

٣٨. عبداللطيف، محمد حماسة،(١٩٩٠م)، **"من الأنماط التحويلية في النحو العربي"** ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١.

٣٩. العبيدي، رشيد عبد الرحمن،(١٩٨٩م)،**"الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين"**، مجلة المورد، المجلد ١٨، العدد الثالث، وزارة الثقافة والإعلام، العراق.

٤٠. علي،نبيل، (٢٠٠٥م)،**"الفجوة الرقمية"**، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٣١٨)، الكويت.

٤١. عمايرة، أحمد خليل،(١٩٨٤م)، **"في نحو اللغة وتراكيبها"**، عالم المعرفة ، جدة، السعودية.

٤٢. عمايرة، خليل أحمد، **"العامل النحوي"**، جامعة اليرموك، الأردن.

٤٣. عمايرة، خليل أحمد،(١٩٨٣م)،**"البنية التحتية بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي**، الأقلام، بغداد، مجلد١٨، عدد٩.

٤٤. عمر، أحمد مختار،(١٩٩٥م)،**"محاضرات في علم اللغة الحديث"**، عالم لكتب، القاهرة.

٤٥. الفيومي،أبو العباس أحمد بن محمد،**"المصباح المنير"**، المكتبة العلمية، بيروت.

٤٦. القزويني،(١٩٧٤م)،**"الإيضاح في علوم البلاغة"**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت،ط٣.

٤٧. القزويني، الخطيب جلال الدين(١٩٩٨م)،**" الإيضاح في علوم البلاغة"**، دار إحياء العلوم ، بيروت.

٤٨. ليونز،جون،(١٩٨٥م)،**"نظرية تشومسكي اللغوية"**، ترجمة: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، بيروت،ط١.

٤٩. المبرد، محمد بن يزيد، **"المقتضب"**، المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت.

٥٠. المبرد، محمد بن يزيد،(١٩٩٧م)،**"الكامل في اللغة والأدب"**،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،ط٣، دار الفكر العربي،القاهرة.

٥١. المسدي، عبد السلام،(١٩٨٦م)،**"اللسانيات من خلال النصوص"**،الدار التونسية للنشر، تونس.

٥٢. نور،حسن محمد،(١٩٩٩م)،**"الإجراء في الصيغ والتراكيب النحوية"**، رسالة دكتوراه، دار العلوم القاهرة.

٥٣. النويري، شهاب الدين،(٢٠٠٤م)،**"نهاية الأرب في فنون الأدب"**،تحقيق:مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٤. ياقوت، أحمد سليمان، (١٩٨٥م)،**"في علم اللغة التقابلي"**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

*****